الإبداع في العمل الدعوي.. كيف الطريق إليه؟

تخيل لو أن المسلمين لم يتوصلوا إلى فكرة حفر الخندق في غزوة الأحزاب في السنة الخامسة من الهجرة، وهم يواجهون عشرة آلاف مشرك من أمامهم، ويتربص بهم اليهود في المدينة من خلفهم.

تخيل لو أن الرسول ﷺ لم يوافق على فكرة «سلمان الفارسي»، أو أن المسلمين واجهوها لأنهم يخافون من الأفكار الجديدة، ويتمسكون بكل قديم على أنه هو الوحيد الصحيح، وأن كل جديد لا ينبغي الاقتراب منه لأنهم لا يعرفونه ولم يجربونه.

لكن الرسول ﷺ والصحابة كانوا من المرونة بحيث استمعوا إلى فكرة سلمان ودرسوها بكل عناية، وبدءوا بالفعل في تنفيذ الفكرة بكل حماس وتعاون وحب، حتى تحقق النصر بإذن الله.

فكرة إبداعية أتى بها سلمان الفارسي، وقبلها الرسول ﷺ والمسلمون بعقل متفتح وصدور منفتحة على كل جديد دون خوف أو رهبة أو فزع، لينقذ المسلمون أنفسهم ويحموا رسالتهم من طوفان بشري أعياه التفكير طيلة أكثر من عشرين يومًا في كيفية الهجوم على المسلمين والقضاء عليهم.

هذا الإبداع وهذه الأفكار الإبداعية، كما تحتاج إليها جميع مجالات الحياة، فإن الدعوة إلى الله في أمس الحاجة إليها، نظرًا لما تواجهه من مشكلات مزمنة لم تفلح معها الحلول التقليدية، وأصبحت تنادي على الدعاة من المبدعين والمبتكرين أصحاب الرؤية النافذة والفكر المتقد، لينقلوا الدعوة إلى آفاق أخرى تحلق بها بعيدًا، ليكسبوا أرضًا جديدة لم يجرؤ أحد على الاقتراب منها، ويجذبوا شرائح جديدة من المجتمع، ظلت الدعوة تعاني في إيجاد الوسيلة المناسبة للوصول إليهم.

ما هو الإبداع؟

من ضمن تعريفات عديدة تحاول أن تصف عملية الإبداع بدقة، ربما كان تعريف «د.علي الحمادي» الذي أورده ضمن كتابه الأول في سلسلة (الإبداع)، هو الأبسط والأعم:

«هو مزيج من الخيال العلمي المرن، لتطوير فكرة قديمة، أو لإيجاد فكرة جديدة، مهما كانت الفكرة صغيرة ينتج عنها إنتاج متميز غير مألوف يمكن تطبيقه واستعماله».

هذا يعني أنه لن يقوم بعملية الإبداع الدعوي إلا شخص يعيش المشكلة الدعوية، ويرى تفاصيلها بدقة، ويدفعه حماسه وحبه لدعوته وانزعاجه من المشكلة، إلى أن يفكر فيها بعمق، وفي أوقات لم يعتد الناس على التفكير فيها، ربما يكون في أثناء سيره في الشارع أو أثناء ركوبه وسيلة مواصلات، أو عند استعداده للنوم، وهذا يعني أيضًا أن هذا الشخص قادر على التأمل والخيال، ولديه قدرة على ربط الأفكار بعضها البعض، فيستطيع أن يسقط فكرة نجحت في مجال ما على المشكلة الدعوية، فيحدث خليطًا كيميائيًّا يعطي نتيجة جديدة ومفيدة، ولكن بأسلوب مختلف لم يدرج من قبل، وكان من نتيجة هذه الأسلوب أنه استطاع أن يحل المشكلة بأقل خسائر، أو في وقت أقل، أو بتكلفة أقل، أو استطاع أن يحقق مكاسب أفضل.

يشير التعريف أيضًا أن الفكرة الإبداعية لابد أن لا تكون ضارة، أو تسبح في الفراغ، بمعنى أنها لابد أن تكون قابلة للتطبيق بمعايير معينة، وهذه المعايير قد تكون القيم الدينية، أو الأعراف الاجتماعية، أو قانون المؤسسة التي يعمل بها صاحب الفكرة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون مقيدة بمعايير الزمن والتكلفة والمكسب والخسارة.

هذا يعني أن الإبداع لابد له من قيود، وأنه ليس كما يحب أن يقول البعض بأن الإبداع ينبغي أن يكون مطلق الحرية بلا قيد أو شرط. هذا مع الاعتراف بأنه كلما زادت مساحة الحرية التي يتحرك فيها المبدع، كلما كان قادرًا على الإبداع بصورة أكبر، وأنه كلما ضاقت هذه المساحة، كلما شعر المبدع بالاختناق إلى أن تقتل لدية الرغبة في الإبداع.

مواصفات داعية مبدع:

يستطيع أي داعية أن يكون مبدعًا، والشرط الوحيد في ذلك هو رغبته وإرادته، بعدها يستطيع أن يدخل عالم الإبداع بعد أن يتدرب على بعض المهارات ويكتسب بعض القناعات وهي:

1- الاعتقاد الجازم بأن (في الإمكان أفضل مما كان) وأن الموجود مهما كان جميلًا، فإنه لا يخلو من عيوب، وأنه من الممكن جدًّا أن نطلق أفكارًا جديدة، من شأنها أن تعالج العيوب وتزيد المزايا.

2- الجرأة على نقد الواقع وعدم الاستسلام له بما يحويه من مشاكل، وتحليله واكتشاف الأخطاء والسلبيات.

3- القدرة على إيجاد حلول وبدائل كثيرة لحل المشكلة الواحدة.

4- الإصرار على الحل بمحاولات متكررة ومتنوعة ومستمرة، وتوقع الفشل في المحاولات الأولى، وعدم الاستسلام للإحباط سواء من تكرار الفشل، أو من رد الفعل من حوله من أشخاص.

5- القراءة المستمرة واستخلاص الأفكار المفيدة من أي مجال وإسقاطها على الواقع الدعوي إذا كان ذلك مناسبًا.

6- التفكير المتواصل والقدرة على التأمل والخيال.

7- الإنصات لآراء الآخرين والتفكير فيها مهما كانت غريبة.

معوقات العمل الإبداعي في المجال الدعوي:

العلاقة بين المبدع والمجتمع علاقة تبادلية، فإذا كان المبدع يفكر ويبدع من أجل حل مشاكل المجتمع، فينبغي على المجتمع أن يساعد المبدع ويقف بجانبه معنويًّا وماديًّا حتى يخرج إبداعه للنور، وإلا ماتت هذه العقول المبدعة في أماكنها، أو فرت إلى من يقبلها ويشجعها، كما فرت العشرات من العقول العربية إلى أوروبا وأمريكا لتحقق إنجازات عالمية غير مسبوقة، نعود بعدها نحن لنبرزهم على الفضائيات، كي نعترف بهم أخيرًا ونفتخر أنهم عرب!

وفي حقل الدعوة يوجد كثيرون يخافون من الأفكار الجديدة، خوفًا يصل إلى حد الرعب، فهم يقدسون الأفكار التقليدية ويعتبرون أن كل ما هو جديد فهو خاطئ، أو على الأقل سيؤدي إلى مشاكل، كما يوجد في حقل الدعوة من يواجهون الأفكار الجديدة بالسخرية أو الإهمال، وينجحون في تسريب الإحباط إلى عناصر نشطة فعالة، تحاول دائما أن تجد مخرجًا من مشكلات تعاني منها الدعوة منذ فترة، ومنهم من يربط الأفكار بالأشخاص، فإذا جاءت من شخص ما، فهي جيدة، وإن جاءت من غيره فهي غير مقبولة، ومنهم من يتربص بأصحاب الأفكار الجديدة إذا ما تعرضوا للفشل أثناء محاولاتهم الإبداعية، فيتخذون الفشل وسيلة للتهكم والنقد اللاذع، لإقناع من يقوم

بالإبداع بأن السلوك الذي ينتهجه خطأ، ومن الأفضل عدم اتباعه.

هذه الأساليب تجعل من يعملون في حقل الدعوة لا يمارسون الدعوة بحب وحماس، بل يعتبرونها كأي وظيفة روتينية، المهم فيها تسديد الخانات وإرضاء الرؤساء.

وبعد فترة تتزايد المشكلات دون إيجاد حلول، لتتحول إلى مشاكل مزمنة لا يجد من يبحث لها عن حلول، ويتحول الدعاة إلى آلات بلا روح.

مشكلات في حاجة إلى إبداع:

في حقل الدعوة يوجد الكثير من المشكلات المزمنة التي تحتاج إلى عقول مبدعة تبحث عن حلول غير تقليدية لحلها، من هذه المشكلات:

1- عدم وصول الدعوة إلى شرائح معينة بصورة كافية، مثل شريحة السائقين وأصحاب الحرف المهنية (نقاش.. سباك.. إلخ).

2- دور الدعوة في حل المشكلات الأخلاقية والتربوية في المجتمع بصورة واقعية وفعالة.

3- عدم التفاهم بين الآباء والأبناء بصورة جعلت الأبناء يعيشون في جزر منعزلة عن محيط أسرهم مما أضر بالمجتمع أبلغ الضرر.

إن الدعوة إلى الله في أمس الحاجة إلى دعاة مبدعين أمثال الدكتور يوسف القرضاوي المجدد في الفتوى، وأمثال الأستاذ عمرو خالد المجدد في أسلوب عرض الدعوة بصورة عصرية، فتحت لها آفاقًا جديدة، كان من الصعب الوصول إليها.

التخصص في العمل الدعوي

فكرة التخصص فكرة قديمة وطبيعية لكل من يريد أن يتقدم ويتميز في أي مجال، فهو يتيح القدرة على التركيز ويعطي الفرصة للبحث والابتكار، وبالتالي التميز والتفوق والإبداع، ورغم أن الفكرة منفذة بالفعل في كل العلوم المدنية (فيزياء – كيمياء – تاريخ – جغرافيا.. إلخ) أو العلوم الشرعية (فقه – حديث – تفسير – عقيدة.. إلخ) إلا أنها لم تأخذ نصيبها الكافي في المجال الدعوي، من حيث الدراسة والتنفيذ، والذي أعتقد أنه لو حدث سيحقق طفرة في تأثير الدعوة على المجتمع، ويحقق لها أهدافًا أبعد مما نتصور في وقت أقل وبجهد أقل.

لم يعد مقبولًا أن يخوض الداعية في كل المجالات الدعوية؛ ليصبح داعية (سوبرمان)، يسابق الوقت ليأخذ قطفة من هنا وأخرى من هناك، ليصبح في النهاية داعية بلا تميز أو إضافة أو تأثير.

وليس معنى هذا ألا يقرأ الداعية في كل المجالات كنوع من الثقافة العامة التي تؤهله لأن يكون على دراية بما يحدث، وبما يموج حوله من أفكار وأحداث، وتمكنه من فهم الأمور واستيعابها وربطها بالمرجعية الدينية، وتمكنه من الدعوة العامة التي تطرق أبواب الموضوعات والعناوين الكبيرة دون الدخول في التفاصيل، فهو يتحدث مثلا في أسس التربية الإسلامية، ولكن الدخول في تفاصيل التعامل مع الطفل أو المراهق، يحتاج إلى بحث ودراسة وتخصص، يتحدث عن العدل في الحكم والمساواة بين الناس ورفع المظالم والدفاع عن الحق، ولكن عندما تحتاج الدعوة إلى العمل بالسياسية، لابد هنا من الدراسة والبحث في المذاهب السياسية ودراسة القانون والدستور واتفاقيات الدول. وإذا كانت الدعوة قد قامت بعملية تقسيم لشرائح المجتمع، لتحديد الوسائل المناسبة لدعوة كل شريحة على حدة من أطفال ومراهقين وكبار.. إلخ، فإن الحاجة ماسة إلى التخصص في دراسات خاصة بكل شريحة، وإنتاج كوادر على دراية كبيرة بالتعامل معها والطرق الفعالة الوصول بالدعوة إليها وحل مشاكلها.

الإسلام والتخصص:

أشار القرآن الكريم ونوهت الأحاديث الشريفة إلى فكرة التخصص، ودعمت السيرة الفكرة بالتطبيق العملي في طريقة اكتشاف الرسول لقدرات الصحابة وتوظيفهم بالطريقة الصحيحة التي تمكنهم من النجاح والإبداع في مهماتهم؛ لأنها بنيت على فكرة «أن كل فرد لديه ما يتميز به عن الآخر»، وبالتالي فهو يستطيع أن يحقق ما لا يحققه الآخرون في مجال ما.

إن قول الله تعالى في سورة النحل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يشير إلى هناك حتمًا من يجب أن نعود إليهم بالسؤال والمشورة عند الجهل والحيرة في أمر ما، فنبحث ساعتها عن أقدر الناس للإجابة عن سؤالنا، وإسداء المشورة لنا عن علم وأمانة، إنه ذو الخبرة، المتخصص في عمله.

وحديث الرسول ﷺ: «**اعملوا، فكل ميسر لما خلق له**»، يشير بقوة إلى أن لكل إنسان

مجاله الذي يجب أن يتخصص فيه، وأن قانون الخلق قام على ذلك من الأساس، وأن مهمة الإنسان أن يبحث عن أنسب الأعمال التي تتفق مع ميوله ومواهبه وقدراته وظروفه ليحقق النجاحات والإنجازات والإبداعات، ويؤدي رسالة الخلافة في الأرض وإعمار الكون كأفضل ما يكون ويريد الله ورسوله.

لقد اختار الرسول ﷺ: «بلال بن رباح» ذا الصوت الندي؛ ليرفع أول آذان في الإسلام، ليصبح ابن رباح أشهر مؤذن في الإسلام، واختار «مصعب بن عمير» ليكون سفيرًا له في المدينة، فحقق نجاحًا مدوًّيا، وفرش الطريق بالورود لهجرة الرسول ﷺ وبناء الدولة، وعندما لمح في «زيد بن ثابت» قدراته العلمية، وجهه لتعلم اللغة، واستفاد منه الخليفة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب بعد ذلك في جمع القرآن، ومن بعدهما عثمان بن عفان في نفس المهمة، ليقوم بأعظم مهمة بحثية في التاريخ.

ماذا يعني التخصص في المجال الدعوي ؟

التخصص بشكل عام يعني: اقتصار عضو أو فرد أو جماعة على القيام بعمل معين.

والتخصص في المجال الدعوي يقصد به تناول المجال الدعوي بالبحث والدراسة المنهجية، التي تمكن الداعية من التعامل مع أفراد المجال الدعوي بصورة قائمة على نظريات علمية، وتؤهله لأن يكون مرجعًا لغيره من أصحاب التخصصات الأخرى في مجال بحثه، وتؤهله للفتوى والمشورة عند حدوث مشكلات في مجاله.

كيف يتحقق التخصص في مجال الدعوة ؟

رغم الجهد الكبير الذي تبذله معاهد الدعوة المنتشرة في كل مكان لتخريج الدعاة، إلا إنني أعتقد أنها غير قادرة على التأثير في المجتمع بفاعلية، لأنها ببساطة لا تعلم (فن) الدعوة، ولكنها تعلم العلوم الشرعية المؤسسة لعلم الدعوة، لكن قضايا الدعوة نفسها وفنيات التعامل مع النفس الإنسانية، ودور الدعوة في حل مشكلات المجتمع، ووسائل انتشارها وأساليب تأثيرها، كل هذا ليس له مكان في هذه المعاهد، وبالتالي فإنها تخرج دارسين في العلوم الشرعية، وعندما يتجهون بها للدعوة العامة التي تتحدث في المبادئ العامة والأطر العامة للإسلام دون القدرة على التماس مع هموم الناس ومشكلات المجتمع والتحرك بالمجتمع نحو أسباب النهضة والتقدم، فإنهم لا يحققون النجاح المطلوب.

لكن التخصص في مجال الدعوة يبدأ بتأسيس (علوم دعوية جديدة) تتصل اتصالًا وثيقًا بالدعوة وأهدافها ووسائلها، وتبحث في مشكلاتها وقضاياها، وقادرة على أن تخرج شخصيات دعوية متكاملة، تتمتع بمهارات ذهنية، وقدرات ومواهب دعوية، ونضج ثقافي فكري، شخصيات قادرة على التأثير فيمن حولها بصورة ملحوظة.

تحتاج الدعوة إلى مناهج في علم الإدارة المتصلة بالدعوة، وعلم النفس الدعوي، ومناهج خاصة بكيفية دعوة الأطفال حسب الشرائح السنية المختلفة، وأخرى بالمراهقين، وثالثة خاصة بالشباب، ورابعة بالمهنيين، وخامسة بكبار السن، بصورة متخصصة بها فروق واضحة بين شريحة وأخرى، تحتاج الدعوة إلى مناهج خاصة بالدعوة الفردية وتنمية مهارات الحوار والاتصال وأدب الخلاف وقبول الآخر، وتنمية مهارات الخطابة والقيادة والعمل الجماعي، والتدريب على المقاومة والصمود والصبر والجرأة والشجاعة.

كل هذا ينبغي أن يبلور في مناهج وواضحة لتشكيل داعية يحمل المواصفات النفسية والمهارات الخاصة بداعية ناجح، ثم تتجه هذه المناهج في نهايتها إلى فرع للتخصص، ليخرج داعية متخصص في التعامل مع سن الطفولة، وآخر متخصص في علم النفس الدعوي، وثالث متخصص في الدعوة الفردية، وآخر متخصص في الإعلام الدعوي، وسادس في الإدارة الدعوية.. إلخ.

وكل هذا بشهادات معتمدة تثبت قدرة هذه الداعية على التعامل في مجال معين ومدى خبرته فيه.

معوقات التخصص في المجال الدعوي:

يعوق الوصول إلى التخصص في المجال الدعوي ما يلي:

1- عدم وجود مناهج: نعم، توجد بعض الدراسات الدعوية كمؤلفات متناثرة في المكتبات تحتاج إلى تجميع، ووضعها في صورة مناهج متدرجة وبسيطة للدارسين، لكن هناك دراسات أخرى لم يصل إليها البحث بصورة كافية.

2- عدم نشر ثقافة التخصص.

3- عدم وجود كوادر دعوية كافية، مما يجبر الدعاة على الدخول في نطاقات غير مؤهلين لها.

نماذج من نجاحات الدعوة المتخصصة:

عندما اتجهت الدعوة إلى مجال الإعلام الفضائي، واستعانت بمتخصصين، أحدثت طفرة في الإعلام الإسلامي، فخرجت قناة (اقرأ) و(الرسالة)، كما نجحت قناة (طيور الجنة) نجاحًا مذهلًا في مخاطبة الأطفال بأدائها الرفيع المستوى في الكلمات والتصوير والألحان، كما انتشرت ثقافة التربية في المجتمع العربي عندما تناولها المتخصصون بصورة بسيطة، تفاعل معها الآباء بصورة كبيرة.

إن التخصص يعني التركيز والرغبة في الإضافة والتجديد، وكما قال أحد الناجحين: التخصص هو النجاح.

Ahmedsalah1000@hotmail.com

الانفتاح الدعوي على المجتمع.. كيف يكون؟

تذكرني قضية الانفتاح الدعوي على المجتمع بقضية زيادة الكثافة السكانية في مصر التي ما زالت ولا زالت تعاني منها مصر حتى الآن؛ لينتج عنها مشاكل لا حصر لها من أزمة في السكن وزيادة في الأسعار وتلوث خانق وزحام شديد.. إلخ. وعندما يجهدنا البحث نتذكر أننا نستغل فقط 5٪ أو أكثر قليلًا من مساحة مليون كيلومتر مربع، هي المساحة التي وهبها الله لنا، لنهمل نحن 95٪ منها، ثم نجلس نعيد ونزيد في هموم لا أول لها من آخر، دون حلول جذرية لأي مشكلة.

وعندما تهمل الدعوة المساحات المتاحة لها، وتظل تقصر نفسها على مساحة معينة وأسلوب معين دون تغيير لفترة طويلة، ستفاجأ يومًا بانحسارها وقلة تاثيرها.

وربما يكون الاعتماد على المسجد فقط في الدعوة رغم الإقرار بأهميته البالغة كحجر زاوية في الدعوة، لما يملكه من جو روحاني لا يتوفر في أي مكان آخر، ولا غنى عنه لأي إنسان يقبل على ربه ليتطهر من خطاياه، ويجلي نفسه من ذنوبه ومعاصيه، ويمد حبل الحب والطاعة والانقياد بينه وبين خالقه، إلا أن الاعتماد عليه فقط في الدعوة يسبب أزمة للدعوة والقائمين عليها؛ لأننا شئنا أم أبينا في وقت لا يزال رواد المساجد ضعيف إلى درجة كبيرة، وهذه النسبة الضعيفة من رواد المسجد أكثرها من كبار السن، لا الشباب، الذين ترتكز على أكتافهم دعائم أي دعوة أو أي نهضة أوتقدم أو أي إنجاز.

الإصرار على أن يذهب الناس إلى المسجد لدعوتهم يعني الإصرار على ذهاب الناس

إلى الدعوة وليس العكس، وهذا لن يفيد الدعوة، وسيرهقها وسيرهق الدعاة أنفسهم وسيصيبهم بالأحباط.

من هنا كان لابد أن تعكس الدعوة اتجاهها بقوة، لتذهب هي إلى الناس، دون أن تنتظر أن يذهب الناس اليها، أن تنفتح الدعوة على الجميع في كل الأماكن وفي كل الفئات ومن جميع الأعمار.

تعالوا نتحدث عن الانفتاح.. ماذا يعني؟ وكيف يتحقق؟

ماذا يعني الانفتاح الدعوي على المجتمع ؟

يعني الانفتاح الدعوي على المجتمع أن تعتبر الدعوة أن المجتمع كله ساحة صالحة للدعوة، وليس المسجد فقط، في الشارع والنادي والمصنع والمدرسة والمنزل ومقر العمل.. إلخ، وأن تحاول أن تجد مساحات مشتركة بينها وبين الجميع، مؤسسات وأفراد، أن تخرج الكتب من المسجد، وينزل الدعاة من المنابر، ليختلطوا بالناس في كل مكان ليتحدثوا معهم ويسمعوهم ويشاركوهم أفكارهم وأحلامهم، أن تتحرك القيم وتنطلق ليجدها الناس حقيقة واقعة أمامهم في برامج عملية فعالة، تجعل الناس ترى الإسلام أمام أعينها مجسدا يتحرك بهم ولهم ويعيشون به وله.

الانفتاح .. كيف يتحقق ؟

ولكي يتحقق هذا الانفتاح، ينبغي أن تتطور وسائل الدعوة عن الوسائل التقليدية بالخطب والمواعظ، وأن تصاحبها برامج عملية يشارك فيها الناس لإصلاح مشاكلهم، والارتقاء بالمستوى الأخلاقي والمعيشي لهم، وألا يصر الداعية على أن يبدأ الحديث الدعوي دائمًا بالدعوة إلى الصلاة باعتبارها عماد الدين، بل يعتمد على مفاتيح الشخصية والتي تختلف من شخص لآخر، وأن يفتح الحوار مع الجميع وحول أي موضوع، وأن يحترم الرأي الآخر ويسمع للجميع في مودة واهتمام، وأن يأخذ بمبدأ التيسير دائما في الفتاوى الشرعية، وعدم التصلب في الآراء الحياتية دون مرونة، وأن يعتمد مبدأ الترغيب والتشجيع أكثر من مبدأ الترهيب والتيئيس، وأن لا يعتبر الداعية نفسه أفضل من غيره، فيظهر شخصًا بسيطًا متواضعًا كواحد منهم يحبهم ويحبونه.

المكاسب:

1. زيادة كبيرة في عدد الأشخاص من كل الفئات الذين وصلت اليهم المفاهيم الدعوية كل حسب احتياجه وطبيعة موقعه.

2. ثقة الناس في الإسلام وقيمه واقتناعهم بقدرته على إسعادهم وحل مشاكلهم.

3. تعدد الوسائل يتيح لعدد كبير من الناس المشاركة في الأعمال الدعوية والتي تمثل في حد ذاتها دعوة قوية لهم.

4. زيادة حماس الدعاة وانطلاق أفكارهم وأفكار من يشاركونهم في ابتكارات تفيد الدعوة بصورة أرحب وأوسع.

مواصفات الداعية القادر على الانفتاح:

1. الفهم الصحيح للدعوة وأولوياتها.

2. الجرأة، وهي عكس الخجل، وهي التي تدفع الداعية لأن يتحدث مع الجميع، وأن يبادر بالفعل في أي مكان من أجل دعوة غيره.

3. الثقافة.. ليس الثقافة الشرعية فقط ولكن الثقافة الحياتية التي تضمن للداعية التواصل مع الناس والثقة فيه وفي آرائه.

4. الإلمام بقواعد التعامل مع الآخرين، وهو أمر يحتاج إلى قراءات في علم النفس الذي يؤهل الداعية لفهم الأشخاص والفروق الفردية بينهم وتعامله مع الجميع على اختلاف أفكارهم وطبائعهم.

5. الحماس والنشاط، فالانفتاح على المجتمع يتطلب نشاطًا وحماسًا يستوعبان الحركة في اتجاهات كثيرة وبسرعة؛ لأن الحركة داخل المجتمع تجعل الداعية محل نظر وتقييم دائم من الآخرين.

6. الإخلاص وتوثيق الصلة بالله، فالاختلاط بالناس ربما يجنح بالداعية إلى اتجاهات تضعف الإيمان، وتعطي فرصة لمداخل الشيطان؛ لذا ينبغي أن يكون الداعية على حذر منها بالتحصن الدائم، بالعبادة وتجديد النية.

obeikandl.com

تفاجأ الدعوة بين الحين والآخر بشخصيات قد قل نشاطها، وتغير سلوكها، واضطربت أفكارها، وتغيرت معاييرها للحكم على الأمور، شخصيات كانت بالأمس مثالًا في التضحية، وقدوة في النشاط والتفاني في العمل، ثم تحولت إلى شخصيات روتينية، ثقيلة الحركة، قليلة الإنتاج، كثيرة الأعذار، متنوعة المشاكل.. باختصار.. تحولت إلى شخصية أخرى لا يعرفها الكثيرون، ويعانون أشد المعاناة في تفسير ذلك التحول بين الماضي والحاضر.

وربما كان الانشغال في متاهات الحياة ومسئولياتها أحد الأسباب التي تفسر ذلك التحول، إلا هناك تفسيرات أخرى أيضًا تبرز بقوة، إذا ما عرف أن هذه الشخصيات كان متعلقة بشخصيات معينة، أثرت فيها وتعلقت بها، فلما انصرفت عنها لسبب أو لآخر، انصرفت هي الأخرى عن أفكار ومبادئ، طالما نادت بها وتفانت من أجلها.

وهو نفس السبب الذي يجعل الدعوة تعاني أيضًا من شخصيات ترجح تفسيراتها وآرائها لشخصيات بعينها، دون محاولة لعرض هذه الأمور على العقل، أو افتراض أنهم بشر معرضون للخطأ، ومن حق الآخرين الاختلاف معهم، مما يجعل الأفكار تسير في اتجاهات تحزبية، وهي اتجاهات من المؤكد أنها في عكس اتجاه الدعوة نفسها، فتعطلها وتأخذ من رصيدها وتعرضها للعراقيل والمشاكل.

إنها مشكلة التعلق بالأشخاص والرموز والأسماء، على حساب الأفكار والمبادئ والمنهج.. ومن ثم لا شعوريًّا.. الدعوة نفسها.

التعلق بالأشخاص:

من الطبيعي والمنطقي والبديهي أن يتأثر التلميذ بأستاذه الذي أخذ بيديه من الظلمات إلى النور، ومن حياة التخبط واللا معنى، إلى حياة الرؤية الواضحة والارتياح لمعنى الحياة وهدفها ومغزاها، ومن عالم الجهل، إلى عالم المعرفة والتأمل.

طبيعي ومنطقي وبديهي أن يدين الطالب لأستاذه بالجميل، ولكن من الخطأ أن يظل يسير في فلكه للأبد، فيعتبر أن آرائه وأفكاره منزهة عن النقص، لا يجوز عرضها على المنطق ولا التفكير فيها لتعديلها أو رفضها، فيظل يربط عقله بعقله، وقدمه بقدمه، ويده

بيده، وقلبه بقلبه، فيفعل ما يفعل، ويحب ما يحب، ويكره ما يكره، يتحمس إذا تحمس، ويفتر إذا فتر، ويتقدم إذا تقدم، ويرجع إذا يرجع.

يفعل المدعو ذلك وهو لا يدري أنه قبل أن يمحو شخصيته وعقله ومشاعره، قد أخطأ خطأً كبيرًا بأن جعل أستاذه الداعية حاجزًا بينه وبين المرجعية الكبرى التي لا يأتيها الباطل أبدا..القرآن والسنة.

يفعل التلميذ ذلك وهو لا يدري أنه يقطع حبل الربانية بينه وبينه خالقه الذي يمده بالزاد المتواصل إذا ذهب البشر، ويهديه الصواب إذا اختلف الناس وتاهت الأفكار، ويهديه السبيل إذا ضاع الطريق.

أتذكرون وفاة الرسول ﷺ..

أتذكرون الصدمة التي دفعت الآلاف من المسلمين لأن يرتدوا فيمتنعوا عن دفع الزكاة..

أتذكرون ماذا قال أبو بكر؟ أشد من أحب الرسول ﷺ من الناس وصدقه وتفانى في التضحية من أجله، آخر من يتصور أن يفقد حبيب القلب، ورفيق العمر، لقد نادى في الناس برباطة جأش أذهلت كل من يعرف أبا بكر الصديق وهو يقول: «من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت» ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران:144].

رغم كل هذا الحب، كان كل هذا الوعي، والفهم، وتحمل المسئولية، والتعلق بالفكرة والمبدأ والمنهج ورب المنهج، لا معلمه ومرشده، حتى وإن كان هذا المعلم والمرشد.. هو الرسول نفسه.

احترام المعلم والعالم والتعلق بهما.. هناك فرق:

من المؤكد أننا مطالبون باحترام معلمينا وعلمائنا وتقدير جهدهم وآرائهم وتفكيرهم، فنذكرهم دائمًا بالخير، ولا نسمح لأنفسنا ولا لغيرنا بالتطاول عليهم أو اغتيابهم إذا اختلفوا مع رأيهم، ولا النيل منهم أو التشهير بهم إذا أخطئوا كأي بشر معرض للخطأ مهما كان علمه وقدره، لكننا في الوقت نفسه، مطالبون ألا نرفعهم إلى

درجة القداسة، فنعتبر أن كل ما يجري على لسانهم صحيحًا، بغض النظر عن مرجعيته، أو دون محاولة النظر فيه أو الرد عليه، واعتبار أن كل ما يقال على ألسنة من اختلفوا معهم خطأ لا ينبغي النظر له أو التعليق عليه أو الأخذ به.

مكمن الخطورة:

وعندما يذوب الحد الفاصل بين حب العلماء والأساتذة وبين التعلق بهم، يبدأ الخطر على الدعوة نفسها، لأن هذا التعلق المرفوض بهم، سيدفع إلى تحول ولاء الأشخاص من الدعوة إلى الولاء لهم، وسيكون ذريعة لتبرير الخطأ، ويجعل انتقاد الأفكار مرادفًا لانتقاد الرموز والشخصيات.

هذا الأسلوب في التفكير يجعل الدفاع عن الرمز والشخص مقدم على الدفاع عن الدعوة والفكرة، ويجعل الأشخاص تعلو على المبادئ والأفكار، وهو أمر ينفي الإخلاص والتجرد للدعوة، فيضعها في مهب ريح الهوى والعصبية، وينشأ التعصب الأعمى للفرق والمذاهب (والتي من الطبيعي والمنطقي وجودها طالما وجد الناس الذين خلقهم الله مختلفين، ولا يزالون مختلفين)، أما المشين، فهو أن يتحول الخلاف المذهبي والفكري إلى ساحة للغيبة والنميمة وتجريح الأشخاص والعلماء، وربما يصل إلى أبعد من ذلك، بما يتنافى مع أبسط قواعد الأخلاق الإسلامية والإنسانية.

إن التعلق بالشخص دون الفكرة يجعله أسيرًا لمن تعلق به، فينطفئ نور عقله وبصيرته، فيمنع عن نفسه الخير الكثير، ويقف ضد مصلحة دعوته ودينه ونفسه.

روى أصحاب السير أنه قد قيل لخالد بن الوليد يومًا بعدما أسلم متأخرًا – وهو الحري بعقله وفطنته أن يسارع للإسلام فور سماعه – **قيل له**:

أين كان عقلك يا خالد فلم تر نور النبوة بين ظهرانيكم؟

قال: كان أمامنا رجال كنا نرى أحلامهم كالجبال.

والأخطر أن هؤلاء الأشخاص، هم أول من يقعوا في الفتنة إذا افتتن من تعلقت به قلوبهم وعقولهم، فهم يستمدون إيمانهم بأفكارهم من أشخاص يصيبون ويخطئون، وتجري عليهم قواعد التغير التي لا يستطيع أن يقف أمامها أحد، فهم لا يستمدونها من إيمانهم بالله واقتناعهم الذاتي بأفكارهم، فيظلون يدافعون عنها إذا غاب الناس، أو

تراجعوا عن أفكارهم، أو فتر حماسهم؛ ليحملوا الشعلة من بعدهم، ويكملوا الطريق إرضاء لله وإيمانا بدعوتهم.

إنه نفس السبب الذي دفع عمر بن الخطاب لأن يعزل أشهر وأفضل قائد إسلامي في تاريخ الإسلام، «خالد بن الوليد»، عن قيادة الجيش وهو في أوج انتصاره، في قرار تاريخي أذهل الكثيرين، بعدما خشي أن يرجع المسلمون انتصاراتهم إلى خالد، لا إلى نصر الله القوي العزيز.

العلاج:

تظل القضية ذات مسئولية مشتركة بين الداعية والمدعو، وعلى كل منهما أن يقوم بدوره في انحسار المشكلة، والحد من أثرها الخطير على الدعوة.

أولاً: دور الداعية:

1- التوجيه الدائم لإرضاء الله، ولو كان على حساب الأشخاص، إنه درس قديم ربى عليه الرسول ﷺ صحابته، فدفع أبا بكر الصديق **س** لأن يقول للمسلمين أول ما تولى الخلافة: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته، فلا طاعة لي عليكم».

2- الإخلاص والتواضع.

3- شجاعة الاعتراف بالخطأ إن أخطأ.

4- الحث على التفكير والمناقشة وإبداء الرأي، وعدم أخذ ما يقوله الآخرون كمسلمات يجب الاقتناع بها وتنفيذها.

5- إعطاء القدوة والمثل في احترام المخالفين، وإبراز وجهات نظرهم، وعدم تجريح الأشخاص مطلقاً، وذكر المخالفين في الرأي بالخير دائمًا، على اعتبار أنهم مجتهدون يصيبون ويخطئون، مثلما يصيب كل البشر ويخطئ.

6- تقبل النقد بصدر رحب، والرد على أي سؤال دون ضجر، أو اتهم صاحبه بالجهل أو الرغبة في الجدل.

ثانيًا: دور المدعو:

1- الربانية.. والاتجاه دائما بالعقل والقلب وكل الجوارح لله وليس الأشخاص.

2- عدم إنزال أحد - أيًّا كان- منزلة قداسة تنزهه عن الخطأ، وتجعل رأيه صواب دائمًا، لا يجوز النقاش فيه. مهما علا قدره ومقامه بين الناس.

3- إعمال الفكر دائما فيما يقوله الآخرون.

4- استقلال الشخصية، والفصل بين التعلم من الآخرين، ممن نحبهم ونحترمهم، وبين التبعية المطلقة لهم.

5- الرغبة في الإبداع والتجديد، بما يعني الرغبة في الإضافة إلى ما أنجزه الآخرون، وعدم اعتبار أن ما وصلوا إليه هو آخر الدنيا، إنما إمكانات العقل لا حدود لها.

وعندما يحدث ذلك.. تتعلق القلوب والعقول والوجدان بخالقها أكثر من أي بشر، وعندها.. لا نرى أمامنا إلا الله، حتى وإن وقف أمامنا ملايين البشر، ونظل ندافع عن مبادئ آمنا بها، حتى وإن تخلى عنها الجميع، ولو كان من بين هذا الجميع، أصحابها الذين نادوا بها من قبل .

فتور الدعاة..اعرف عدوك

مهندس/ أحمد.

البلد مصر.

نص الرسالة: المشكلة كلها في الفتور والملل، وذلك على العكس تمامًا من فترة كان فيها نشاط في العمل مع إخواننا، والحمد لله - اللهم ارزقنا الإخلاص- حينما نُكلَّف بعمل -الحمد لله- نقوم به بجدٍّ واجتهاد، لكن حاليا أشعر بأن هناك فتور حتى من معظم إخواني وليس مني فقط.

الرد:

لا يتحدث عن الفتور في الدعوة إلا من عرف معنى الاجتهاد والحماس والانطلاق في العمل، وصال وجال في جنبات الأرض يدعو الناس إلى ربه ويخدم دعوته قدر استطاعته وهو مستمتع برضا الله وما يحققه من إنجاز.

لا يتحدث عن الفتور إلا من وجد نفسه في حالة غير طبيعية لا يعرفها ولا تعرفه، ويجلس وقد تملكته الدهشة من ذلك الكسل الغريب بعد الحركة الدائبة، كسل يمنع صاحبه من الحركة والتفكير إلا تحت ضغط شديد فيقوم بالعمل دون روح ودون حب ودون إبداع.

وعندما يصيب الفتور فردًا يعطل ملكاته ويثقل جسده عن الحركة وعقله عن التفكير، وعندما يصيب مجموعة دعوية يصيب الآلة الدعوية بالعطب ويحكم عليها بالفشل.

ورغم قسوة الحالة ومرارتها، **إلا أن الواقع يقول**: إن كل المجتهدين لابد وأن يصابوا بحالة فتور لفترة طالت أو قصرت، لأن هذه هي طبيعة النفس البشرية لا يمكن أن تظل على منحنى ثابت لا يتغير، فلابد أن يظل المنحنى متعرجًا بين الصعود والهبوط، والأكثر نجاحًا هو الذي يستطيع أن يقلل من فترات هبوط المنحنى الخاص به، ويزيد من فترات ارتفاعه.

والدعاة – أخي الكريم – بشر، ككل البشر، يتعرضون لما يتعرضون له من ظروف وعوارض، وآلام نفسية، واضطرابات في العمل تقلل من إقبالهم على العمل الدعوي أحيانًا، وربما تقعدهم عن العمل لفترة.

تعال أخي الكريم.. نحلل الأسباب ونقترح الحلول.

أسباب الفتور:

أ – صدمة الفشل في تحقيق الهدف:

كثيرا ما يتعرض الداعية للفشل، وليست هذه المشكلة، فالفشل والنجاح وجهان لعملة واحدة لابد أن يتقلبا في حياة الإنسان مهما كانت درجة فهمه وذكائه وحذره، بل إن الفشل أحد وسائل النجاح إذا ما استفاد به صاحبه في زيادة خبراته الدعوية، إنما المشكلة في ثقافة توقع الفشل كأحد الاحتمالات الممكنة وكيفية مواجهته بالتدريب النفسي الذي يستمده من الإيمان بالله والتوكل عليه وعدم اليأس والإصرار على النجاح والأمل المستمر.

تذكر أخي الكريم.. غزوة أحد.. وصدمة المسلمين بعد الهزيمة ومقتل سبعين من

الرماة وإصابة الرسول ﷺ بعدما كانوا على أعتاب النصر، تذكر الحالة النفسية الصعبة التي كانوا عليها، وعلى الفور ينزل القرآن ليصبرهم ويبث فيهم الأمل من جديد ليواصلوا المشوار وتتوالى انتصاراتهم حتى أتاهم نصر الله في فتح مكة.

وعليه فإنه يمكننا أن نجمل علاج تلك النقطة في الآتي:

1- وضع نسبة لاحتمالية الفشل في تحقيق الهدف، مع وجود الحماس والتفاؤل في تحقيقه.

2- وضع أهداف تناسب الإمكانات البشرية والمادية الموجودة، وعدم وضع أهداف خيالية بعيدة عن الواقع وغير مناسبة لقدرات منفذيها والظروف المحيطة.

3- التدريب النفسي على تحمل الفشل وتمريره سريعًا ثم مواصلة العمل والانطلاق منه إلى آفاق النجاح بعد اكتساب خبرات التجربة السابقة.

4- عدم الاستسلام السريع وتكرار المحاولات أكثر من مرة حتى يمكن الحكم نهائيًّا على جدوى ما يتم القيام به.

ب- البيئة المحيطة:

إذا كان الداعية يعمل ضمن مجموعة، فطبيعي أن يتأثر بسلوكيات أفراد المجموعة وطباعهم ومدى نشاطهم في العمل، إلا أن التأثر الأكبر والأهم يكون بمدير العمل نفسه، وعلاقته به، ومدى التوافق الفكري بينهما، وفلسفة المدير في الإدارة هل هو من النوع التقليدي أم من النوع المبتكر الذي يجيد استفراغ الطاقات واستغلال المواهب؟ هل هو من النوع الذي يحترم آراء الآخرين أم يكبتها؟ هل هو من النوع الذي يقبل الاقتراحات وينفذ المفيد منها أم الذي يهملها؟ هل هو من النوع الحماسي القيادي الذي يجعل من حوله يحلمون بالدعوة ويعيشون معها ومن أجلها أم من النوع الذي يؤدي واجبًا روتينيًّا ولا يهمه سوى تسديد الخانات في التقارير الورقية؟

فإذا كانت المشكلة في فتور المجموعة نفسها، فإني أنصحك أخي الكريم بالاتصال أكثر بالمسئول ونقاشه على انفراد في وسائل تطويرالعمل، وتشجيعه على أن يطلب منك أعمال أكثر بصورة تجعلك شريكًا له في العمل، وأعتقد أن هذا أمر يفرح أي مسئول حريص على نجاح عمله أن يجد من يمد له يد العون.

وإذا لم توفق مع مسئولك في هذه الحل، فاشحن نفسك وانطلق في أعمال ذاتية تصب في إطار الخطوط العريضة للعمل المتفق عليه دون خروج عنها.

ج - تراجع الإيمانيات:

تقوم الإيمانيات بدور بالغ الأهمية عند الداعية، فارتفاع الروح الإيمانية - من أثر الحفاظ على صلاة الفجر والمواظبة على الورد القرآني وتلاوة الأذكار وقيام الليل - يزيد من صلابة الداعية أمام الشدائد ويمده بزاد الصبر على الناس ويشعره بسعادة الرضا من الله كلما اجتهد أو أنجز، ويدفعه إلى الرجاء كلما واجهته صعوبات في دعوته، إن ارتفاع الحالة الإيمانية تجعل الداعية متماسكا صلبا أمام من يدعوهم، فيشعر بقوة ذاتية مستمدة من الله تجعل كلامه بنبض بالقوة والإخلاص فيلاحظ تأثيره على من يدعوه، والعكس صحيح؛ فإن تراجع الإيمانيات يجعل المعصية تتجرأ عليه فتضعف نفسه ويخشى مواجهة الناس ويخجل من نصحهم فينزوي بعيدا خجلا من المعصية وحياء من الله.

وعليه فإن الحل في الآتي:

1 - الاهتمام بالحفاظ على الحالية الإيمانية.

2 - عدم الانهزام أمام المعصية بصورة مبالغ فيها تدفع بعض العاملين بالدعوة إلى ترك العمل على اعتبار أنهم ليسو أهلا للدعوة، بل عليهم أن يستغفروا ربهم ويتماسكوا ويبدءوا العمل من جديد، وليعلموا أن الاندماج في العمل الدعوي من أفضل الوسائل للبعد عن المعصية والتغلب عليها.

د - ظروف الحياة:

لن يسلم أحد من ظرو ف الحياة القاسية، وسيتعرض الداعية مثلما يتعرض كل البشر لمشاكل دراسية أو أسرية أو اقتصادية أو اجتماعية تثبط همته وتقلل من حماسه الدعوي وتزيد همه وحزنه، والخطأ كل الخطأ أن ينعزل الداعية في هذه الحالة عن إخوانه فينفرد به الشيطان ويتلاعب برأسه، بل عليه أن يقترب من إخوانه أكثر وأكثر، ويحكي لهم ما يمر به من أزمات، ويطلب منهم مد يد العون، وسيفهم إخوانه، فيخففون عنه أعباء العمل الدعوي المكلف به ويبدءون في وضع الوسائل التي تعينه بصورة عملية حتى تخرجه من أزمته ويعود كما كان فارسا منطلقا في أرض الدعوة.

obeikandl.com

إنها الأسباب الأربعة التي تشكل أعداء للداعية تعطل من همته وتصرفه عن دعوته، فاستعن بالله أخي الكريم وانظر ماذا أصابك منها واشحذ همتك وعد بفضل الله وبرحمته إلى رحاب الدعوة لتعمل وتنجز وتستمتع.

أهمية الشورى في العمل الدعوي

ما هي أهمية الشورى في العمل الدعوي؟ وما هي المواصفات التي يجب أن تتوفر في مسئول العمل حتى يطبق الشورى بنجاح في إدارته للعمل الدعوي؟

رغم الهزيمة.. إلا أن لقطة في المشهد كانت أروع ما يكون.

نقاش غاية في الأهمية والقوة والخطورة بين الرسول ﷺ وبين الصحابة رضوان الله عليهم حول كيفية لقاء المشركين القادمين من مكة للانتقام مما حدث لهم ولأهلهم في بدر ، هل سيحاربون من موقعهم في المدينة للتحصن بها ؟ أم يخرجون لملاقاتهم خارج المدينة ؟

يرى الرسول ﷺ أن البقاء بالمدينة أفضل، بينما ترى الأغلبية أن الخروج أكثر جرأة وهيبة وعامل كبير من عوامل النصر.

وينزل الرسول ﷺ- وهو النبي المرسل - على رأي الأغلبية، إقرارًا لمبدأ الشورى كدعامة من دعامات الدولة الإسلامية، وكوسيلة سليمة لاتخاذ قرار يتحمس له الجميع ويتحملون تبعاته أيًّا كانت.

وعند جبل «أحد»، يهزم المسلمون بعد استشهاد سبعين من الصحابة بينهم حمزة بن عبد المطلب، ويصاب الرسول ﷺ، وتغطي الكآبة المشهد كله، ويضرب الحزن القلوب في العمق، ويتمكن الألم والإحباط من الجميع، ويرسل الندم رسالته إلى أصحاب الرأي بالخروج من المدينة لملاقاة المشركين.

إلا أن نسائم هبت من السماء، لتخفف الحزن وتداوي الألم وتربت على أكتاف المسلمين، وتدعو الرسول ﷺ إلى استكمال ما بدأ.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ.....﴾ [آل عمران: 159].

يا للروعة.. في أحلك لحظات الهزيمة، وفي الوقت الذي يهمس الشيطان في أذن المسلمين في لحظة ضعف شديدة، بأن الهزيمة ربما كان أحد أسبابها الشورى نفسها، تنزل الآيات لتؤكد على مبدأ الشورى من جديد، لتقطع أي تهاون أو أي شبهة ندم في اتباع المنهج السليم لتأسيس الدولة الإسلامية الناشئة.. مهما كانت العواقب.

ربانية الشورى:

وجمال الشورى أنها تستمد قوتها من ربانيتها، فهي تمزج بين تعاليم السماء التي لا يأتيها الباطل، فترسم حدود التفكير واتخاذ القرارات بأطرالشرع الحكيم، وبين حرية اختيار البشر وإعمال عقولهم في اختيار القرار الأصلح والأصوب من وجهة نظر الأغلبية.

من هنا كانت الشورى بالنسبة للعمل الدعوي مصباحًا ينير ظلمة طريق طويل، تاه فيه من تاه وتعثر فيه من تعثر، فتسيرالدعوة وهي ترى بنور الله، فلا تسلك مسلكًا جانبيًّا خاطئًا يهدر وقتها وجهدها، ويسير أصحاب الدعوة فيه بحماس وهمة، بعد أن أعطاهم الإسلام قيمة احترام أنفسهم وعقولهم، بإقرار حقهم في الاختيار واتخاذ القرار وتحمل المسئولية.

إنها بالفعل معادلة غاية في الجمال، لو نجح الدعاة في تطبيقها بصدق وإخلاص، لحققت الدعوة قفزات وقفزات نحو آمال عريضة لازلنا ننظر إليها من بعيد في شوق وشغف.

عندما تطبق الشورى.. وعندما لا تطبق:

تمثل الشورى عاملًا مهمًّا وأساسيًّا في تقدم أي عمل أيًّا كان، ومنه العمل الدعوي بالتأكيد، ويؤدي عدم إرساء قواعدها وتفعيل هذه القواعد في أي عمل إلى اتجاه هذا العمل إلى نهايته؛ لأنه قد حكم عليه بالفشل من البداية.

فتطبيق الشورى يفجر الطاقات في نفوس أفراد العمل؛ لأن الشورى نظام يدعو إلى إبداء حرية الرأي واحترامه أيًّا كان، ونقاشه باهتمام، والسعي إلى تطبيقه إذا رأت الأغلبية أنه مفيد للعمل، وهو أسلوب يدفع أفراد العمل إلى الابتكار والإبداع، ويفجر فيهم الحماس، ويشعرهم بقيمة الجهد وسعادة الإنجاز، إنه نظام يرفع قدر الإنسان ويشعره بذاته وقدرته على الفعل والحركة والتغيير، وكل هذا بالطبع يعود على العمل الدعوي

بالنفع ويدفعه قدما إلى الأمام.

وعلى العكس تماما، فإن إهمال نظام الشورى في العمل الدعوي، واستبداله بنظام الأوامر وحتمية التنفيذ دون نقاش، وترديد جمل مستفزة من نوعية «أنتم مازلتم صغارا، أو إنني أفهم أكثر منكم، أو إنكم لا تعرفون مصلحة العمل»، هو نظام يحول أفراد العمل الدعوي إلى آلات لا تفكر ولا تبدع، ويصنع منهم أجهزة استقبال حساسة، ويعطل فيهم أجهزة الإرسال، فلا تستطيع أن ترسل إشارة واحدة، وهو أمر يخنق العمل الدعوي، ويجعله يسير بفكر فرد واحد، يسير إذا سار، ويتوقف إذا توقف، ويحول العمل الدعوي إلى عمل روتيني ممل بلا إبداع أو قدرة على مواجهة المحن ومعالجة المتغيرات.

العوامل التي يحتاجها الداعية لتطبيق الشورى بنجاح:

لن يستطيع الداعية في إدارته لأي عمل دعوي أن يطبق منهج الشورى الذي فرضه الإسلام، إلا إذا كان يتمتع بصفات ومهارات أساسية، وبدونها سيفشل في تطبيق الشورى، وسيتجه معه العمل إلى الفشل لا محالة، هذه الصفات والمهارات هي:

1- احترام الرأي الآخر ونقاشه بجدية، وتفعيله، وعدم الاستهانة بأي رأي أو اقتراح مهما كان غريبًا.

2- قبول النقد.

3- القدرة على الحوار بأسلوب هادئ ومتزن ومقنع.

4- الثقة والتمكن من فنيات العمل، للرد بصورة مقنعة عن أي تساؤلات أو استفسارات أو انتقادات.

5- شجاعة الاعتراف بالخطأ.

6- شجاعة الالتزام بنتيجة الشورى، حتى وإن كانت ضد رأيه ومهما كانت العواقب.

إن نظام الشورى نعمة من نعم الإسلام التي لا تحصى، والتي وهبها الله للمسلمين كَسِرٍّ من أسرار النجاح في حياتهم، وليس علينا إلا أن نشكر نعمة الله... بتفعيلها في حياتنا... ودعوتنا.

أودع الله في كل البشر مواهب تميزهم، وخواصًّا فريدة تؤهلهم لأن يتميزوا وأن يبدعوا في مجال ما، يقول تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر:1] أي: يتميز بها بعض الخلق عن بقيتهم، وعلى قدر عطاء الله ونعمته على هؤلاء البشر، على قدر ظلم الإنسان للإنسان وظلم المجتمع العربي لأبنائه، مجتمع لا يهتم بمواهبهم، ولا يبذل جهدًا في البحث عنها، وأحيانًا يجهد نفسه في تحطيمها بقصد أو بدون قصد !

مجتمع كتب على نفسه الفشل يوم أراد التفريط في مواهب أبنائه، وقرر عدم رعاية ما يظهر منها واستغلالها في سبيل نهضته ورفعته، وهو عكس ما تعمل به دول أرادت التقدم وخططت للنهضة وأصرت عليها بصدق وإخلاص، فقررت اكتشاف مواهب أبنائها منذ الطفولة ورعايتها حق رعاية، وفق منظومة بناء متكاملة متفاهمة تعرف هدفها وترسم طريقها جيدًا، ولم تكتف هذه البلاد بذلك، بل التقطت المواهب من الخارج (من بلادنا العربية والإسلامية) وأغرتها وفرشت لها الطريق بالعلم والثراء والشهرة والاحترام، لتعود إلينا بعد سنين لنفتخر أن فلانًا الذي يتحدث عنه العالم الآن، مصري أو سوري أو عراقي.

و(الدعوة إلى الله) مجال في أشد الحاجة لمواهب أبنائها، البحث عنها وكشفها وحسن التعامل معها ثم توجيهها توجيهًا سليمًا، يطور من أساليب الدعوة ويحل مشكلاتها، وينتج رموزًا تضيف الجديد وتبهر المجتمع، وتدفع بها قدمًا في الوصول إلى الناس.

كانت فكرة البحث عن المواهب بكل أنواعها ورعايتها، فكرة لم تغب عن الرسول ﷺ طيلة جهاده في طريق دعوته إلى الله، اكتشف الموهبة.

(الاجتماعية) عند أبي بكر الصديق **س** موهبة معرفة الناس ومعرفة أنسابهم وتفاصيل حياتهم، فكان دليله إلى بطون جزيرة العرب ومصدر معلوماته الأساسي عنهم، ومن اعتمد عليه في تعريفه بزعماء القبائل ليدعوهم، وخصوصًا في موسم الحج في السنة الحادية عشرة من البعثة، وبعد الحصار الاقتصادي الاجتماعي الرهيب، ليقرر الرسول ﷺ أن يدعو الناس في موسم الحج، ليخرج بعد جهد جهيد ببيعة العقبة الأولى، والتي كانت سببًا في فتح الإسلام الذي تحقق في المدينة بعد عامين.

وفي المدينة.. بدأ مشوار تأسيس الدولة، ليركز الرسول ﷺ أكثر على المواهب واستغلالها، فلم ير في الصحابي «زيد بن ثابت» شابًا ذا قدرات قتالية، عندما أتى إليه يبكي كي يشارك معه في غزوة (بدر)، لكنه وجد فيه بعدها قدرات عالية في حفظ القرآن، وشغفه بالعلم والثقافة، ودقته في طرح المعلومات وعمق الأسئلة.

وأسفر اكتشاف الرسول ﷺ لتلك الموهبة، أن وجهه بعدها لتعلم اللغة العبرية، بعدما خشي من تلاعب اليهود بالقرآن، ليذهل زيد بت ثابت الجميع، بعدما أتقن العبرية بعد ثمانية عشرة يوما فقط.

وبعدها أسند له أبو بكر الصديق **س** بعدما تولى الخلافة المهمة العلمية الأخطر في تاريخ الإسلام كله، مهمة جمع القرآن.

لفتت موهبة الصحابي «عبد الله بن رواحة» في الشعر نظر الرسول ﷺ حتى قال له في مجلس يومًا متسائلًا في تعجب:

«يا عبد الله.. كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول ؟!».

فجعله ﷺ الإعلامي الذي يحمس الناس بشعره، وكذلك الصحابي «حسان بن ثابت» **س** الذي كان يصف هجائه لأعداء الإسلام قائلًا: «والله إن لكلماتك أشد عليهم من نضح النبل».

أما اكتشافه لموهبة الصحابي «نعيم بن مسعود الغطفاني» في دهائه ومكره وقدرته على التمثيل ولعب أدوار الجاسوسية، فكان اكتشافًا شق التحالف بين قريش وبني قريظة، وأنقذ المسلمين والدعوة من خطر محدق في غزوة (الخندق).

ما هي نوع المواهب التي تحتاجها الدعوة ؟

– تحتاج الدعوة إلى مواهب في كل المجالات، وخصوصًا المجالات التي لها اتصال مباشر بالدعوة، مثل:

1 – الخطابة.

2 – القيادة.

3 – التخطيط.

4- الإدارة.

5- القدرة على الاتصال والتأثير في الآخرين.

- كما تحتاج إلى مواهب أخرى فرعية، مثل:

1- التمثيل.

2- الإنشاد.

3- الرسم.

4- التأليف القصصي.

5- الكتابة الصحفية.

ربما كانت البنود السابقة هي التي تحتاجها الدعوة كأولوية في البحث عنها والعمل لاكتشافها، ولكي تنجح في ذلك عليها أن تخطط جديًّا وبأسلوب مدروس لاكتشاف الموهبة ورعايتها، ثم توجيهها وتفعيلها تفعيلًا سليمًا يخدم الدعوة.

كيف نكتشف المواهب ؟

تكتشف المواهب بالوسائل التالية :

1- إقامة المسابقات، ويفضل أن تكون بجوائز، ويسبقها إعلان جذاب، وتتم في جو حماسي يحضره جمهور من الآباء إن أمكن.

2- ملاحظة السلوك والتصرفات والاهتمامات والميول عن طريق المتابعة. (لاحظ الرسول ﷺ قدرات الصحابي «زيد بن ثابت» العلمية، فوجهه لتعلم اللغة الأجنبية (العبرية) بعد أن أسند له كتابة الوحي.

3- السؤال المباشر عن طريق استطلاعات الرأي.

4- سؤال الآباء أو المدرسة إن أمكن، أو الأصدقاء.

رعاية الموهبة :

«توجد الموهبة لدى الفرد منذ نشأته، ولكنها تتبلور عن طريق التدريب والتزود بالمعرفة».

obeikandl.com

هذا هو كلام د. عزة كريم أستاذ علم الاجتماع.

وهذا يعني أنه كلما بادرنا باكتشاف الموهبة ورعايتها، كلما كانت الفرصة لدينا أكبر في إبراز الموهبة، وأسبق في الانتفاع بها، قبل أن تموت بفعل التجاهل والإهمال.

وسائل رعاية المواهب:

1- تصنيف المواهب (معرفي – بدني – اجتماعي – ابتكاري – فني.. إلخ).

2- تجميع كل فئة على حدة، وتهنئتهم على مواهبهم وإشعارهم بأهميتها ومسئوليتهم أمام الله، وضرورة الاهتمام بها ورعايتها. قال الرسول ﷺ مقدرًا قدرة أسامة بن زيد في القيادة: «إنه لخليق بالإمارة كما أن أباه كان خليقًا بها».

3- تنظيم دورات نظرية وعملية للموهوبين عن طريق متخصصين إن أمكن أو عن طريق هواة موهوبين في نفس المجال.

4- التأهيل الإيماني للموهوبين الذي يدفعهم إلى الإخلاص وعدم الرياء في مشوارهم المعرض لأن يحاط بالإعجاب وربما الشهرة، ويبعدهم عن التعالي والكبر والغرور، ويحفزهم لشكر نعمة الله عليهم بحفظ أمانتها. (كانت دار الأرقم تشبه مركزًا للتأهيل الإيماني المستمر للصحابة مع ممارستهم المستمرة للدعوة).

5- عمل برنامج عملي لتفعيل الموهبة في مجال الدعوة سواء في المدرسة أو الحي أو المنزل.

6- الاتصال ببعض المراكز المؤهلة لرعاية المواهب، والتنسيق معها ومع بعض المؤسسات (صحفية – علمية – رياضية) للتدريب على الموهبة حسب نوعها.

كيف تستوعب الدعوة الشخص الموهوب؟

لابد من وجود بيئة مناسبة ترعى الموهبة والموهوبين، بيئة تشجع الموهوب على موهبته، وتحمسه عليها، وتدعوه للاهتمام بها وتعده بالمساعدة، لا أن تتجاهله وتسخر منه ومن موهبته وتتهم موهبته بإضعاف مستواه الدراسي، أو تتهمه بالرياء لأنه يريد الشهرة والظهور بسبب موهبة مثل: الإنشاد والتمثيل، بيئة يشعر معها بالحب والتقدير لأنه موهوب، لا يشعر معها بالحقد والحسد، وأن الآخرين يتمنون له الفشل عند سقوطه في محاولة أو تجربة.

بيئة تعلم أن حسن تعاملها مع الموهبة نوع من (العبادة)؛ لاقتناعها أنها بهذه الرعاية تفيد الدعوة إلى الله، وتسهل طريقها نحو النفوس، فيكون لها الفضل في هداية المزيد من الناس إلى الخير، وانجذاب عدد منهم إلى العمل في مجال الدعوة نفسه، بما يسهم بدوره في رفع شأن الدعوة والدين.

ولقد كانت البيئة التي صنعها الرسول ﷺ من حول الصحابة، بيئة مناسبة تماما لإبراز مواهبهم ورعايتها حق رعاية، فهي البيئة التي قفزت بالصحابي عبد الله بن مسعود **س** من راع للغنم، إلى واحد من أحفظ الصحابة وأقرأهم، حتى قال عنه الرسول ﷺ:

«من كان قارئًا للقرآن، فليقرأ على قراءة بن أُم عبد».

كما ينبغي على الدعوة أن تسند مهامًّا للموهوبين تتناسب مع مواهبهم، حتى يسهل نجاحهم ويعظم إنتاجهم وتقفز معهم الدعوة قفزات للأمام.

كما ينبغي أيضًا تفهم أن الشخصيات الموهوبة شخصيات مبدعة، تحتاج إلى شيء من تفهم آرائها التي قد تبدو غريبة وغير تقليدية، والتعاون معها لتجاوز إخفاقاتها، وتشجيعها الدائم لتجاوز صعابها.

إن الاهتمام بموهبة واحدة، يعادل الاهتمام بعشرة أو عشرين وربما ألف من الشخصيات العادية التقليدية، (نعيم بن مسعود الغطفاني كان يعادل جيشًا بما فعل في غزوة الخندق)، وانظروا الآن كيف يساهم صوت جميل في هداية الناس أو إضلالهم، وكيف يلعب ممثل بارع أو كاتب موهوب في تغيير أفكار الناس واتجاهاتهم، حسب ما يقدم من مادة تدافع عن الأخلاق والقيم وترفع من شأن الدين، أو مادة تساهم في انهيار الأخلاق وانحسار الدين من حياة الناس.

Ahmedsalah1000@hotmail.com

الدعوة من حيز الكلام إلى حيز الفعل

الدعوة عبارة عن شرح لمفاهيم الإسلام، وحث الناس على الالتزام بهذه المفاهيم وتطبيقها في حياتهم، وإزالة كل العقبات الشرعية والفكرية في سبيل تحقيق ذلك، حتى يصبح تطبيق الناس للإسلام سهلًا وتلقائيًّا بلا تعقيد أو تكلف، وتتحول الأفكار إلى سلوك يومي لا يحتاج إلى معاناة وشد وجذب وجدل ومناهدة من هنا وهناك.

إذن الدعوة هي مجموعة من النظريات الصالحة للتطبيق في الحياة، يعرضها الدعاة في خطب الجمعة والدروس المسجدية، ويشرحها المدرس للطلبة في حصة الدين في المدارس والمعاهد الأزهرية، والأساتذة في كليات الدعوة والشريعة.

كل هذا جميل ومنطقي وضروري ومفهوم.

إلا أن غير الجميل أن تتوقف الدعوة عند حد الكلام، فلا تتعداه إلى مرحلة الفعل، مرحلة نزول النظريات من على المنابر لتتفاعل مع أرض الواقع، فيجد الناس الدين يتحقق أمامهم وينقلهم إلى وضع أفضل لأنهم فهموه والتزموا بتطبيقه، فيرون أنه كلما التزموا به أكثر كلما تحسن حالهم وحلت مشكلاتهم أكثر، فيصرون على المزيد من المعرفة والتطبيق.

هكذا تنجح الرسالة وتنجح الدعوة وينجح الناس وينجح المجتمع، أما بدون ذلك فسيفهم الناس أن الموضوع كله كلام في كلام.

قد يقول قائل: وماذا يفعل الدعاة إذن ؟ هذه هي مهمتهم أن يتحدثوا ويوضحوا الفضائل وينشروا الأخلاق ويظهروا الأخطاء.

وأقول: إن معك الكثير من الحق، ولكن ربما ترى في رأيي بعض الحق:

1 – الداعية يزداد في مسئوليته شيئًا عن الإعلامي، فإذا كان الإعلامي يكشف الحقائق ويحلل الأحداث ويقرأ الواقع، فهو ليس مطالبًا بأكثر من ذلك، أما الداعية فإنه يتجاوز هذه الدور إلى أن يأخذ بيد الناس ويستمع إليهم ويسعى ليجد صيغة عملية لحل مشكلاتهم، عن طريق مبادرات خاصة من ابتكاره، أو عن طريق التعاون مع أفراد أو مؤسسات تحرك الناس وتبث فيهم الأمل والحياة.

2 – الداعية ليس مدرسًا يذاكر مناهج ثم يلقنها للناس، الداعية باحث يفكر فيما يقرؤه ثم يعيد قراءته على الواقع، ثم يحدد درجة التطابق بين ما يقرؤه وبين اهتمامات الناس ومشاكلهم حسب مستواهم الديني والثقافي، ثم يخرج من هذا كله بحلول عملية قابلة للتطبيق السهل الحكيم دون غموض وبأقل قدر ممكن من السلبيات.

3 – هناك فجوة هائلة بين النظرية والتطبيق عند الناس، هذه الفجوة صنعتها سنوات طويلة من قلة الثقافة الدينية، ودخول الدعوة في صراعات مع من يحاربونها ويحاولون

إبعادها عن حياة الناس، إلى أن نجحت الدعوة ووصلت إلى مكانة ممتازة وواثقة في المجتمع المسلم، جعلت الناس في حالة استقبال جيدة، فانتشرت القنوات الفضائية وتعددت البرامج الدينية وأصبحت شيئًا أساسيًّا ومطلوبًا في وسائل الإعلام، بعد أن كانت شيئًا استثنائيًّا وضعيفًا.

ولهذه الفجوة.. فإن الناس تحتاج إلى دروس خصوصية في كيفية تطبيق الدين في معامل الحياة، تحتاج إلى معلم ماهر يأخذ بأيديهم ليناقش معهم التفاصيل ويصحح لهم الأخطاء حتى يتعلموا ويكملوا المسيرة بأنفسهم.

الكلام صعب.. لكن تذكر أن اكتشاف الكهرباء التي لا يمكن الاستغناء عنها اليوم لم يكن لها أي قيمة إلا بعد اختراع المصباح الكهربي، والذي يعد أعظم اختراع في التاريخ لهذا السبب.

كانت فكرة الجمعيات الإسلامية المنتشرة في ربوع مصر، أحد الأفكار الناجحة لتحويل الدعوة من مرحلة الكلام إلى مرحلة الفعل.

إلا أنني أقترح بعض الأفكار الأخرى:

1- **مشروع الشارع النظيف:**

يبدأ المشروع بالتوعية، ثم وضع برنامج مجدد يقوم به مجموعة من أهل الشارع أنفسهم، وبالتنسيق مع المجلس المحلي أو شركات النظافة، وبقليل من الأموال، وبعض المتابعة من مجموعات من الشارع نفسه، يمكن أن تلمس بعد فترة نتائج جيدة.

2- **مشروع تربية الأبناء:**

نبدأ التوعية بأهمية التربية ومسئولية الآباء في تعلم فنون التربية لممارسة واجبهم نحو أبنائهم، ودعوة الآباء لتلقي دورات في تربية أولادهم، وبالاتفاق مع مركز تدريب ومدربين وبعض الدعايا، يمكن بدء المشروع، يتبعها تلقي محاولات الآباء في تطبيق ما سمعوه، وعرض مشكلاتهم على متخصصين وهكذا.

3- **مشروع بر الوالدين للشباب:**

التوعية أولًا، ثم تقسيم مجموعات من الشباب في شارع واحد أو شارعين أو منطقة صغيرة، بالخروج في وقت واحد لشراء بعض متطلبات الأسر، أو قضاء بعض

احتياجاتهم، ثم الاتفاق على يوم أو يومين لمساعدة الأسرة في تنظيف المنزل أو غسيل الأطباق، ثم تعلن هذه التجارب في المسجد أو في لقاء يجمع هؤلاء الشباب، وتعقد ندوة للتقريب بين وجهات نظر الآباء والأبناء لعلاج توتر العلاقة بينهم.

4- **مشكلة البطالة:**

إطلاق فكرة مشروع صغير، ثم تسجيل أسماء من يريد الاشتراك، والاتفاق مع مدرب وأكثر ليدرب هؤلاء الشباب وبالاتفاق مع مؤسسة تمويلية، يمكن بدء المشروع في حي أو منطقة ومتابعة خطواته وإعلانها في المسجد أيضًا.

هذه الأفكار وأفكار كثيرة أخرى، قادرة على أن تنقل الدعوة إلى حيز الفعل والمشاركة والتأثير والنجاح، حتى لا يظن الناس أن السلام عبارة عن كلام ليس له علاقة بأرض الواقع.

وتلك نظرية دشنها الرسول الكريم منذ أكثر من ألف وربعمائة عام، حيث قال ﷺ:

«تعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن تؤجروا حتى تعملوا».

الداعية العصرى .. ومهارات في حاجة إليها

ما هي المهارات التي يحتاجها الداعية للوصول إلى الشباب بمفاهيم الإسلام مع متغيرات العصر الحديث.. أرجو الإفادة ؟

الرد:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

[فصلت].

في إيجاز بليغ وبساطة معجزة ليست غريبة على كتاب الله، تضع الآية السابقة كل من يدعو إلى الله في قمة الهرم مكانة عند الله، شرط أن يقرن دعوته بالعمل الصالح ودين الإسلام.

ووضع الآية الداعية إلى الله في قمة الهرم منزلة عند الله، يتوازى مع كون المهمة صعبة وشاقة، تحتاج من صاحبها الكثير حتى يستحق مكانة أن يكون سفيرًا لخير الأديان على وجه الأرض.. دين الإسلام.

من هنا لم يكن لهذه الدعوة أن تمارس بسطحية، أو أن تكون مفتقرة إلى العلم، أو أن تعاني من انعزالها عن المجتمع، أو أن تتهم بأنها لا تساير هموم الناس وتحقق آمالهم في إصلاح النفس والحياة معا، وعندها.. تكون قد نجحت في سد الفجوة بين النظرية والتطبيق، كما يوضح القرآن الكريم، واصفًا معادلة الاتزان الرائعة بين الدنيا والآخرة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام].

وأعتقد أنه لم تصل مواصفات الكثير من الدعاة اليوم بعد إلى الدرجة التي تستطيع أن تسد تلك الفجوة بين النظرية والتطبيق، بين تعاليم الإسلام وأخلاقه الرائعة ونظامه الكوني البديع، وبين إسقاط فلسفته على الواقع بما يقنع الناس بقيمة وجود الإسلام في حياتهم وقدرته على تغييرهم إلى الأفضل، وفضله في حل مشكلاتهم وتحقيق أحلامهم، في عالم أصاب الجميع بالتيه في دوامة من الصراعات المادية المرعبة، وجعل المجتمعات العربية تعيش حالة غير مسبوقة من الإحباط وفقدان الذات.

والحديث عن مواصفات الداعية الناجح إلى الله يطول، فهو يشمل الكثير والكثير من الصفات التي لا غنى عنها لكل داعية يريد أن ينجح في دعوته مع الناس بصدق، شرط أن يكون داعية خارج إطار الوظيفة الروتينية، بل داعية محترف يحلم بهدفه ليل نهار، ولا يهدأ له بال، حتى يجد ما يريد أن يصل إليه أمام عينيه.

وعليه.. فأنا لن أتناول الحديث هنا عن الإخلاص والقدوة والعلم الشرعي وصفات أخرى كثيرة بالتأكيد لا غنى عنها لدعوة مؤثرة، ولكني سأركز فقط على بعض الصفات التي أرى أن الدعوة إلى الله تحتاجها بشدة الآن، وخصوصًا في دعوة الشباب.

وهذه الصفات هي:

1 - الحوار - احترام الخلاف - قبول الآخر:

أخطر ما في هذه (النقطة الثلاثية) أنها لا غنى عنها الآن لنجاح الدعوة - وخصوصًا مع الشباب - في مجتمع أصبح مفتوحا على كل الأفكار والثقافات بلا استثناء على شاشات الفضائيات وصفحات الإنترنت، وأصبح كل ما نخشى أن نقوله يقال رغمًا عنا ليل نهار، وأصبح تجاهل ما لا نريده نوع من الهرو ب من الواقع الغير مقبول من دعوة هي الأقوى بين الدعوات، بقدرتها التاريخية على تفنيد كل الآراء ومحاورة كل الاتجاهات

في أخطر الأمور وهي أمور الاعتقاد، وأصبح من غير الممكن الآن، أن ترد على أسئلة الشباب بكلام مغلف أو مختصر، حتى وإن كان آية أو حديث، بل أصبح الداعية مضطرا للدخول في التفاصيل بوعي وثقافة ودراية بما يحدث حوله، وفهم لنفسية من يحاوره، وتقدير لتأثير الضغوط النفسية التي يواجهها والمتاهات الفكرية التي تحاصره في كل مكان، لم يعد مجديا أن نرد الردود الكلاسيكية من نوعية: «اتق الله»، و«علينا أن نتبع ما أمر الله ورسوله».. إلخ. لم يعد مجديا أن نقطب الجبين في وجه من يخالفنا الرأي أو نعادي من لا يريد أن يقتنع بحديثنا وبكلامنا ورؤيتنا للأمور وكأننا احتكرنا الحقيقة، لم يعد مجديا إلا نصبر على الحوار مع من يخالفوننا ونقول لهم: «هو الدين كده»، لم يعد مجديا أن نطلق أكلاشيهات لإغلاق الحوار مع الآخر من نوعية «بلاش جدال عقيم».

إن الداعية الناجح عليه أن يستمع إلى الجميع، وليعلم أن استماعه إلى من يخالفه الرأي بصدر رحب، وتقبله صديقا له رغم خلافه معه، لهو انتصار لدعوة الإسلام التي تتسع للجميع، ولم تخش يوما الحوار مع أحد، لأنها تستمد قوتها عبر التاريخ من اقتناع من يتبعها بأفكارها، وليس إجبارهم عليها أو جعلهم شخصيات تابعة لها دون تفكير.

2- الابتكار:

لن يستطيع أحد أن يوقف حركة الزمن، وعندما يتحرك الزمن تتحرك معه الأفكار وتتغير، ويتغير معها الأشخاص، ومن هنا تنشأ الحاجة إلى الابتكار لتساير هذه التغيرات الجديدة حتى تنسجم مع حركة المجتمع، والدعوة مثلها مثل أي شيء لابد أن تتطور باستمرار حتى تساير حركة المجتمع وتتعامل مع الجديد من الأفكار، لذا فهي في حاجة مستمرة إلى ابتكار في شكل الدعوة وأسلوب الكلام وموضوعات الحديث ولغة الخطاب ونوعية الأنشطة بما يتناسب مع حركة العصر ومتطلباته.

والحقيقة أن أزمتنا كعرب مع الابتكار والتجديد جعلت الكثير من الدعاة يعتبر أن الحفاظ على شكل الدعوة وأسلوبها منذ بداية الدعوة أمرًا ضروريًّا، حتى ظل يرهق الناس بموضوعات من قلب التراث وأعماق كتب الفقه التي لا تعني الناس في قليل أو كثير، وأخذ يعرضها بألفاظ صعبة وبأسلوب خال من أي تشويق، حتى أصبحت مهمة هؤلاء الدعاة مهمة عكسية تهدف إلى إبعاد الناس عن الدين وليس العكس، يوازي هؤلاء فريق آخر أكثر نضجًا ووعيًا بما يقدم من أنشطة دعوية ملائمة للمجتمع بالفعل،

ولكن عيب هذا الفريق أنه ينسى فكرة التطوير إلا كل عدة سنوات، ولو استطاع أن يطور نفسه بسرعة لحقق إنجازات رائعة.

إن الابتكار يعني استمرار عملية التفكير في حل المشكلات باستمرار للوصول إلى الهدف بأسرع وأفضل وسيلة ممكنة، والدعوة في حاجة إلى أن تصل إلى شرائح واسعة ومختلفة من الناس اصطادتهم وسائل فاسدة.. كان أصحابها من أهل الابتكار.

3- التواصل مع الناس:

ينجح الداعية طالما كان مع الناس؛ يشعر بهم ويحاورهم ويستمع اليهم، ويفشل فشلًا ذريعًا إذا أصر أن يحدثهم من فوق المنبر، فيبتعد عنهم شيئًا فشيئًا، ويبني بنفسه جدارًا عازلًا بينه وبين من يحدثهم، ومع الوقت يزداد سمك هذا الجدار إلى الدرجة التي لا تسمح لصوته أن يصل إليهم مهما بلغت قوة الميكروفونات في المسجد، إن الداعية الناجح هو الداعية الذي يجيد التواصل مع الناس، فيلمس عن قرب مشاكلهم وهمومهم وطريقة تفكيرهم ومستوى ثقافتهم ودرجة طموحهم، وساعتها يبدأ هو في بلورة أفكاره بطريقة تساعدهم على حل مشكلاتهم والتخفيف من همومهم وتحقيق رغباتهم، وربط كل ذلك بدعوته إلى الله، هنا سيلتف الناس حتمًا حول الداعية، لأنه كان قادرًا على فهمهم وحل معادلات صعبة طالما أرهقتهم.

4- تحويل النظريات إلى حلول عملية واقعية:

لا ينتظر الناس من الداعية أن يعظهم، فالناس حفظت المواعظ وملت منها، إنما ينتظرالناس من الداعية أن يقدم لهم الحل العملي لمشكلاتهم، الناس البسيطة لا تستطيع أن تحول الكلام العام والنظريات الضخمة إلى برامج عملية دقيقة تحل بها مشكلاتها، إنما ينتظرون ذلك من الداعية الذي يمثل بالنسبة لهم مرشدًا وموجهًا، بما يمتلكه من وعي وثقافة، والكثير من الدعاة يبحر في المواعظ وسرد الأحاديث والآيات، ثم يتوقف عند النقطة التي لا ينبغي أن يتوقف عندها أبدًا، نقطة الحل العملي، وساعتها.. يفقد الناس ثقتهم في الدعوة، ويؤمنون عمليًّا بانعزالها عن الواقع، وتقوقعها داخل المسجد، وعدم فاعليتها في التأثير في المجتمع، ويصبح الداعية من حيث لا يدري ضارا بدعوته وهو لا يريد ذلك بالطبع.

إن عبقرية الإسلام أنه دين عملي، ينزل إلى أرض الواقع ليغير الحياة، ويحيي الأرض

بعد موتها.

ربما كانت الخصال الأربع السابقة، هي الأبرز في رأيي والتي يحتاجها دعاة اليوم، ليصبحوا أكثر تأثيرًا في مجتمع يحتاج إلى رحمة الإسلام، ليراها واقعا عمليًّا أمام عينيه، لا بين أغلفة الكتب، وصفحات التاريخ.

أخي الداعية: هل تمارس الرياضة؟

ما هي فكرتك عن الرياضة؟ هل ترى أنها ليس لها قيمة؟ هل ترى أنها شيء ليس له علاقة بالإسلام؟ هل ترى أنها مجرد لعب؟ وأن الرياضة تعني كرة القدم، ولا شيء غير كرة القدم؟ وهل للرياضة علاقة بالدعوة؟ وهل لها تأثير في إنتاجية الداعي ونفسية المدعو والأثر الأخلاقي عليه؟!

تعالوا نتحدث في موضوع الرياضة.. ونفكر...

هل يريد الله من الإنسان أن يكون كسولًا مريضًا، معبًا بأمراض السمنة أو النحافة؟ هل يريد منه أن يتعرَّض لأمراض القلب بعد سن الثلاثين، لا يستطيع أن يصعد السلَّم، أو يحمل أنبوبة الغاز إذا طلبت منه والدته أن يصعد بها إلى الدور الثاني، ينقطع نفَسُه إذا جرى ثلاثين أو أربعين مترًا، لا يستطيع أن يصحو الفجر؛ لأن عظمه مكسَّر، لا يستطيع أن يدافع عن نفسه إذا تعرض لاعتداء أو تعرَّض أخوه أو صديقه لأذى من شخص أحمق، أو حاول شخص أن يسرقه؟!

هل يريد الله من المسلم أن يكون هكذا؟

بالقطع لا.. فالله كرَّم الإنسان، وتكريمه يعني أنه يريد له أن يكون في أفضل صورة، ليست صورة شكلية فقط، ولكن صورة جسمية ونفسية واجتماعية وأخلاقية.. يريدك أن تكون شخصًا متوازنًا في حياتك، كما تمشي متوازنًا أمام الناس بلا عوج ولا ميل.. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء].

وفي قصة النبي موسى ÷ مع ابنتي شعيب ÷ يقول تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].

والعبد الصالح (ذو القرنين) الذي استثمر طاقاته المبدعة في الدفاع عن المستضعفين؛ حيث يصنع لهم سدًّا يقيهم من هجمات الأعداء (يأجوج ومأجوج)، وقد طلب منهم أن يبذلوا طاقاتهم البدنية معه فيعينوه على ذلك العمل الكبير.. ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف]، ويقول رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله**».

هذا التوازن هو الذي يعطيك شرف العبودية لله؛ لأنك ستكون فعلًا صورةً مشرفةً للمسلم وللدين الذي تحبه، وإذا كانت الرياضة تحقق ذلك، فلابد أن يدعو الإسلام إلى الرياضة ويحثُّ عليها.

هل تصدق أن الرسول كان يسابق الإبل والخيل بعد أن تعدَّى الخمسين عامًا؟!

ولأن بلادنا بعيدة عن مفاهيم الإسلام فإنها ترى أن الرياضة هي كرة القدم، وكرة القدم هي الرياضة، فإذا فزنا ببطولات رياضية أصبحنا بلدًا رياضيًّا، وإذا لم نفز في مباراة ضيّعت علينا الفوز ببطولة، دخل الشعب كله في سرادق عزاء يبكي.

والحقيقة أن هناك فرقًا بين ممارسة الرياضة والمنافسات الرياضية، والدول الغربية تفهم ذلك جيدًا، وهي ترى أن ممارسة شعوبها الرياضة أهم مائة مرة من الفوز ببطولة كأس العالم وشعبها كسول مريض.

في الدول الغربية يخرج الناس صباحًا ليمارسوا رياضة المشي، وهي أقل وأبسط رياضة ممكنة، فخمس وأربعون دقيقة من المشي يوميًّا تحافظ على اللياقة الدورية التنفسية، وعلى اللياقة البدنية للأطراف السفلى، وعلى إذابة الكوليستيرول الزائد المترسِّب في الجسم.

يمارس الرياضة الكبار والشباب والأطفال والرجال والنساء؛ لأنهم يعتبرون ممارسة الرياضة عنصرًا من عناصر التقدم الحقيقي.

نشاهد مباريات كرة القدم... نعم، ونفرح لفوز فريق نشجعه... لا بأس، ولكن علينا أن نعلن أن ساعةً إلا ربع الساعة من المشي، أو ساعةً من لعب الكرة، أو ساعةً من

السباحة؛ أفضل مائة مرة من مشاهدة مباراة بين برشلونة وتشيلسي.

تأثير الرياضة على أجهزة الجسم المختلفة:

لنتعمّق أكثر في فهم أهمية الرياضة في حياتنا، سنستعرض معًا باختصار تأثير الرياضة علي أجهزه الجسم المختلفة..

أولا: الجهاز الدوري:

القلب هو المركز الرئيسي لضخ الدم إلى كافة أجزاء الجسم لتغذيتها بالدم (سائل الحياة) والرياضة تؤدي إلى زيادة قوة ضربات القلب، مما يؤدي إلى زيادة قوة ضخ الدم إلى كافة أجزاء الجسم، وبالتالي تكون الحاجة إلى زيادة ضربات القلب في أوقات المجهود أقل، فيقل الحمل على القلب، مما يؤدي إلى تقليل فرص احتمال الإصابة بأمراض فشل عضلات القلب...

ثانيًا: الجهاز الدوري الطرفي:

والذي يتمثل في الشرايين التي تمد الأجزاء المختلفة للجسم بالدم، وأيضًا للرياضة عليه تأثير عظيم.

1- كالمساعدة على فتح ما يعرف بالشرايين الاحتياطية وهي شرايين موجودة بفضل الله تعالى عندنا جميعًا، وهي مغلقه وغير عاملة، وذلك من رحمة الله فإذا ما تعرّض جزء من أجزاء جسم الإنسان إلى الإصابة، فإن هذه الشرايين تستجيب للإصابة وتفتح، لكي تمد الجزء المصاب بالدم لكي لا يموت.

وممارسة الرياضة تساعد على فتح تلك الشرايين، مما يؤدي إلي زيادة كمية الدم الوارد إلى أجزاء الجسم، وبالتالي زيادة كفاءتها وحيويتها.

2- وإفراز مواد تعمل على تقليل لزوجة الدم، مما يؤدي إلى تقليل فرص الإصابة بالجلطات.

3- وزيادة كمية الدم الوارد إلى الشرايين، مما يزيد من مساحتها وبالتالي ليونتها؛ فيعمل ذلك على تقليل فرص الإصابة بتصلبات الشرايين.

4- وزيادة كمية الدم الوارد إلى المخ؛ فيؤدي ذلك إلى زيادة التركيز والذاكرة.

5- زيادة كمية الدم الوارد إلى الجلد، مما يؤدي إلى تنظيم درجة حرارة الجسم والتي هي مهمة للكثير من العمليات الحيوية داخل الجسم.

ثالثًا: الجهاز العضلي الحركي:

المتمثّل في العظام والعضلات وما يحيط بهما من أنسجة رخوة ومن أربطة وما إلى ذلك، فإن للرياضة عليه أيضًا تأثير عظيم، وهو كما يلي:

1- زيادة كثافة العظام، مما يقلل من حدوث الكسور والشروخ وأمراض هشاشة العظام التي أصبحت سمة مميزة في عصرنا، وذلك أن العلماء وجدوا أن التحميل على جزء معيّن من العظام يؤدي إلى كثافتها، ذلك أنّ الجسم يطور الجزء الذي يستخدم ويضمر الجزء الغير مستخدم، وللمزيد من الفهم ننظر إلى شخص حدث له كسر في ذراع ووضع في الجبس لفترة تصل إلى شهرين،فبعد فك الجبس نجد أن ذراع هذا الإنسان قد ضمر بشكل واضح، نتيجة قلة الاستخدام ومع العودة، لاستخدامه مرة أخرى نجده يعود إلى وضعه الطبيعي وقوته السابقة.

2- زيادة قوة العضلات، وهي التي تمكننا من حمل الأشياء.

3- زيادة قوة الأربطة، والأربطة هي الجزء المسئول عن ثبات الجسم في الأوضاع الفجائية، وبالتالي تحمي العظام من الكسر والعضلات من التمزّق، فالرياضة تساعد على تقويتها، وبالتالي يتحمل الجسم الأوضاع المختلفة التي يوضع فيها، فيزيد من ثباته، ويزيد من المدى الحركي له.

رابعًا: الجهاز التنفسي:

لا يفوتنا أبدًا دور الرياضة في تنمية الجهاز التنفسي، فهي تزيد من كفاءة استخدام الرئتين، وتساعد على زيادة كفاءة عضلاتها، مما يزيد من القدرة على الكحة والتي تعتبر من نعم الله على الإنسان؛ لأنها تمكّن الإنسان من وقاية جهازه التنفسي من الأجسام الغريبة، سواء من داخل الجسم كالبلغم وما إلى ذلك، أو من خارجه كالعوادم وغيرها من الملوثات.

خامسًا: الجهاز العصبي:

إن الرياضة تساعد بشكل ملحوظ على:

1- التخلص من الضغوط العصبية، وذلك فيما يعرف بتفريغ الطاقة بشكل بنّاء.

2- تنظيم النوم وزيادة التركيز، مما يؤدي إلى زيادة الكفاءة الإنتاجية للفرد.

3- تعويد الإنسان على التفكير المنظّم والمنطقي؛ لأنها تعمل على تنبيه كافة الأجزاء العصبية في المخ والنخاع الشوكي.

4- زيادة سرعة التوصيل العصبي إلى أجزاء الجسم المختلفة؛ فتمكّن الإنسان من التحكم في نفسه بصوره أفضل.

5- إعطاء الثقة للإنسان، والقدرة على التصرف في المواقف الصعبة؛ ذلك أن الجسم يكون معتادا على الضغط.

سادسًا: الجهاز الهضمي:

لا يفوتنا دور الرياضة وتأثيرها العظيم على الهضم وعمليات الامتصاص فهي:

1- تزيد من كمية الإنزيمات الهاضمة، والتي تساعد على هضم الطعام بصورة أفضل، فتقلّل من فرص حدوث عسر الهضم والقرح المعدية.

2- تنظّم شهية الإنسان وتساعده على الاستفادة من جميع العناصر التي يأكلها.

سابعًا: الجهاز الإخراجي:

تنظّم الرياضة عملية الإخراج وتجعلها تتم بصورة أفضل:

1- تقلل من فرص حدوث الإمساك، وذلك لأنها تساعد على زيادة القدرة الحركية للقولون، وبالتالي تمنع حدوث أمراض القولون التي تمثّل نسبة كبيرة في الشعوب التي تعتاد على العادات الخاطئة في الأكل والنوم.

2- تحسّن من إخراج البول، والذي يؤدي إلى تنظيم عمل الكلي، وتمنع تكوّن الحصوات.

تأثير الرياضة على الجانب النفسي - الاجتماعي:

عندما تشترك في فريق لكرة القدم أو السلة أو الطائرة في نادٍ ما، فستجد في أثناء لعبك أنك مضطر لأن تمرر الكرة لزملائك، وستفهم حتمًا أن النصر لا يمكن أن يأتي إلا بالتعاون والتحاب، إن الرياضة تساعد على زيادة روح التعاون، مما يزيد من الاجتماعية

لدى الأفراد والبعد عن الملل والتوتر، حيث إنها تقلل من وحدة الشخص، وتقلل بالتالي من فرص حدوث الملل والأرق الذي يحدث عادةً، حيث إن الرياضة تقلل من طاقة الجسم الزائدة، والتي بالتالي تكون عامل نفسي محرّض على ارتكاب الأخطاء مما يزيد من حالة الفرد سوءًا.

عندما تصاب بقلق قبل النوم، عليك فقط ممارسة الرياضة لبضع دقائق، واخلد إلى سريرك بعدها، فسترى أهنأ فترات وساعات النوم، وإذا كنت غاضبًا عليك فقط أن تمارس أي نوع من التمارين الحرة، والتي بالتالي سوف تقلل من نسب الطاقة المشحونة في الجسد، وبالتالي ستقلل من التوتر والقلق الحادثين للجسم؛ لذلك كان الرسول ﷺ يوصي أن يغير الغاضب من وضعه، بأن يقف إذا كان جالسا أو يجلس إذا كان واقفا، فتحريك الجسم يخرج شحنات منه فيقل التوتر.

فعندما تمارس الرياضة مع زملائك سترى روح المحبة والألفة بينكم، طالما كان اللعب بضوابط الشرع وتحت مظلة ديننا الجميل.

ستجد بممارسة الرياضة أنك قد تعوّدت على إيقاع يومي حديث ستألفه حياتك وتحبه؛ لأنه يخلّصها يوميًّا من الشعور بالخطأ أو الطاقة الزائدة، والتي بالتالي سوف تستنفذها في عمل حلال وشرعي، وأيضا ستفيد جسدك.

فعندما ترضى نفسك عن حالة جسدك الصحية عند ممارستك الرياضة، وعندما تخفف عليها القلق والملل بممارسة نشاطك المفضل، وعندما تنام بهدوء وسكينة بعد ممارستك لرياضتك المفضلة أو تمريناتك الحرة؛ فستعرف بداخلك بأن الرياضة قدمت إليك راحة البال لتنام الآن... لتنعم بها.

أخي الداعية..

تعلَّم من الرياضة وعلِّم من تدعوهم تهذيب النفسَ، وتقوية الجسم وتربية الخُلق، فهي تعوِّدنا على قوة الإرادة وضبط الشعور وحب النظام والتعاون.. فنتقوَّى بها للوصول إلى غاياتنا.. نروِّح بها عن أنفسنا لنستعد للعمل بنشاط وحيوية.

إن الرياضة أمر في غاية الأهمية لكل مسلم، وعلى قدر أهميته على قدر إهمالنا له.

جرِّب أخي الداعية أن تمارس الرياضة، جرِّبها مع نفسك ومع أسرتك ومع من

تدعوهم.

اشترك في نادي رياضي قريب منك، مارس بعض التمارين الرياضية البسيطة اليومية بمفردك أو مع أسرتك أو امش يوميًّا لمدة نصف ساعة على الأقل وستجد الفارق كبيرًا بإذن الله.

الداعية وضغط الظروف الاقتصادية

لا أحد يستطيع أن ينكر أن تعرض الداعية لمشكلات مادية أو مروره بحالة من عدم القدرة على الوفاء بمتطلبات الأسرة من مأكل ومشرب وملبس وصحة وتعليم، أو تعرضه لأزمة مالية مفاجئة، (هذا في حالة الداعية المتزوج الذي لديه أبناء)، أو عدم القدرة على إيجاد عمل مناسب ماديًّا بعد التخرج، ففي الحالتين، أعتقد أنه من المسلم به أن المشكلة المادية ستلقي بظلالها حتمًا على الداعية، وستشغل حيزًا ليس قليلًا من تفكيره، وستصيبه بالأرق من حين لآخر، وربما تتسبب له في التعرض لمشكلات داخل محيط الأسرة مع الزوجة والأبناء.

كل هذا بالتأكيد سيؤثر على صفاء ذهنه الذي سيكون من الصعب عليه بعدها التفكير في أمور الدعوة بتركيز واهتمام، وسيسحب من رصيد حماسه الدعوي وطموحاته في تطوير ذاته وأفكاره ومشروعاته الدعوية، وسيقلل من درجة حرارة تفاعله مع الناس، وقدرته على العطاء والتاثير.

تزداد المشكلة تعقيدًا فيما لو اضطر الداعية إلى القيام بعمل إضافي لتحسين الدخل، أو الخضوع لشروط قاسية في عمله تجبره على العودة إلى منزله متأخرًا بعد أن يبلغ منه الإجهاد مبلغه.

وتحت وطأة هذه الظروف، قد يستسلم الداعية للوضع ويبدأ في تقليص حجم أعماله الدعويه، ربما يزيد مع الوقت ليصبح عمله الدعوي مهمشيًّا أمام أعباء حياته التي لا تنتهي، وقد يتبع ذلك الفتور الدعوي، خصوصًا إذا كان من النوع النشيط دعويًّا، ويصبح الداعية يمارس دعويته إما بصورة روتينية كنوع من أداء الواجب الثقيل. أو أن يصبح عددًا في أعداد الدعاة، بلا فاعلية تذكر.

الضغط الاقتصادي على المسلمين الأوائل:

كانت ولازالت ورقة الضغط الاقتصادي إحدى الورقات القوية والرابحة في بعض الأحيان في مواجهة الدعوة، ولعبت الحكومات الديكتاتورية على وتر لقمة العيش؛ ليظل

الناس يدورن في فلك البحث عن أدنى حد من الحياة الكريمة، وتتراجع أمام هذا السباق المادي المحموم، قضايا الأمة وهموم الوطن ومراقبة أخلاق المجتمع والوقوف إلى جانب الحق ومحاولة حل مشاكل الناس.

وفي عهد الرسول ﷺ، وبالتحديد في السنة السادسة من البعثة النبوية، لجأت قريش إلى سلاح المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين في شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات متواصلة، أجهد خلالها المسلمون إجهادًا شديدًا، وتعرضوا لضغوط لا يتحملها بشر، كان من الممكن أن تنفك في لحظة، مقابل التنازل عن الإيمان بعقيدة وفكرة آمنوا بها وعملوا من أجلها. إلا أن قوة الإيمان كانت أقوى، إلى أن انفك الحصار، لينجح المسلمون في أحد الاختبارات العظيمة في تاريخ الإسلام.

يقول ابن هشام في كتابه عن سيرة الرسول ﷺ:

«اجتمع سادة قريش في خيف بني كنانة من وادي المحصب، فتحالفوا على بني هاشم وبني عبد المطلب، ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، وألا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة، حتى يسلموه للقتل. ويقال: إن منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم هو الذي كتبها، ويقال: النضر بن الحارث، والصحيح أنه بغيض بن عامر بن هاشم، وقد دعا رسول الله ﷺ على كاتبها، فشلت يده». (سيرة ابن هشام).

ورغم أن معظم الصحابة كانوا من الفقراء، وبالتأكيد كانوا يعانون من مشكلات اقتصادية، إلا أن تلك المشكلة لم تنل من الدعوة الإسلامية وحبها والرغبة فيها والتضحية من أجلها.

ربما كانت متطلبات الحياة أقل كثيرًا من متطلبات الحياة في عصرنا الذي يموج بإعصارات المادة، وتتداخل فيه المشكلات إلى درجة مرهقة ذهنيًّا وعصبيًّا، قبل الإرهاق المادي، إلا أن قوة الإيمان وقيم التوكل والصبر ودرجة التفاهم بين أفراد الأسرة وبساطة المجتمع، كانت أقوى من أن تغير المشكلة اتجاه الصحابة إلى حيث لا يريدون.

كيف يواجه الداعية المشكلة:

تبهرني دعوة الإمام الشهيد حسن البنا للدعاة في الأربعينات من القرن الماضي إلى أن يمتهنوا حرفة للتكسب منها بجانب الوظيفة الحكومية التي دعاهم إلى محاولة عدم الاعتماد الكلي عليها، في وقت لم يكن يجرؤ أحد أن ينال من هيبة وظيفة الحكومة، التي

كانت منتهى منى الجميع، إلا أن هذا التنبؤ المبهر رأيناه رأي العين بعد التحولات التي حدثت في نهاية القرن الماضي نحو الخصخصة، والعودة إلى سيطرة نظام رأس المال على الاقتصاد مرة أخرى، ليصبح الموظف رهينة لصاحب العمل، بعد أن انحازت الدولة انحيازًا سافرًا إلى أصحاب رءوس الأموال ضد الموظفين والعمال، ليقعوا تحت ضغوط مستمرة من ضعف المرتبات وزيادة ساعات العمل والتسريح في بعض الأحيان.

كمحاولة.. لجأ بعض الدعاة إلى إقامة مشاريع خاصة، صحيح أنها أجهدتهم في البداية، لكنها بعد فترة حققت لهم الأمان المادي المقبول، وأتاحت لهم ميزة التحكم في الوقت والقدرة على التحرك بحرية، ومكنت العديد منهم إلى الوصول إلى مرحلة الإبداع الدعوي بعد أن وصلوا إلى مرحلة التخصص.

يضاف إلى هذه المحاولة بعض الاقتراحات التي قد تمكن الداعية من مواجهة أثر الضغط الاقتصادي على دعوته:

1. محاولة تعلم مهنة أو حرفة توفر فرصة عمل فورية للشاب حديث التخرج، إلى أن يجد فرصة عمل مناسبة، وتتيح لمن يملك وظيفة إمكانية زيادة الدخل.

2. التفوق المهني في الوظيفة، وكلما قل الوقت الذي أثبت فيه الداعية كفاءته في وظيفته، كلما كان الاحتياج له أكبر من صاحب العمل، مما يحقق له الأمان الوظيفي، ويوفر له مميزات أكبر في الراتب وساعات العمل، وفي نفس الوقت يصبح مطلوبًا من جهات أخرى في حالة تعرضه لأي مشكلة، وإذا توافرت الإمكانيات المادية يكون لديه القدرة على الاستقلال بنفسه في مشروع خاص. يقول الرسول ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**» [رواه الطبراني].

3. وضع الدعوة كأولوية، ولكن في نفس الوقت إيجاد توازن بين المتطلبات الدعوية والحوائج المادية. يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

4. الثقة في الله والتوكل عليه والاطمئنان إلى رعايته واليقين في رزقه، ولكن بعد الاجتهاد في الأخذ بالأسباب. قال رسول الله ﷺ: «**لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**».

5. الدعاء، فلقد كان رسول الله ﷺ يدعو حين يصبح وحين يمسي: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر**» فالفقر يضعف النفس ويوشك أن يوقعها في الزلل.

6. التفاهم الأسري ووجود جو الحب والألفة مع الزوجة والأبناء يجعل الجميع شركاء في الهم، متحلين بالصبر وعازمين على تجاوز الأزمات.

7. تنمية المواهب الفردية (إنشاد – تأليف – خط – رسم – تدريب.. إلخ) فربما تصبح الموهبة مدخلًا كبيرًا من أبواب الرزق.

دور الدعوة:

تستطيع الدعوة أو القائمون عليها أيضًا أن يساهموا في حل المشكلات المادية للدعاة، سواء بالوقاية أو بالعلاج.

أولاً : الوقاية:

1 – الحث على تعلم الحرف في المناهج الدعوية، ومحاولة توفير أماكن للتدريب على هذه الحرف من المرحلة الإعدادية. وجاء في القرآن آيات كثيرة تدل على أن الأنبياء كانوا يعملون في عدد من الحرف والصناعات اليدوية، ومن ذلك قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ]، لأنه كان يعمل في صنع الدروع. وقال تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: 11].

2 – العناية بالمواهب وتنميتها من المراحل الابتدائية بصورة جدية ومنهجية، تبدأ بعملية الاكتشاف ثم يعقبها عملية التنمية والتدريب على أيدي متخصصين أو ذوي خبرات، ثم محاولة إلحاقهم بسوق العمل ولو بدون أجر، كنوع من تفعيل عنصر الممارسة الحقيقية. مثلما اكتشف الرسول ﷺ موهبة الصحابي الكريم «زيد بن ثابت» في القدرة على التحصيل العلمي، فوجهه لتعلم اللغة العبرية.

ثانيًا : العلاج:

1 – السؤال عن أحوال الإخوة، والتعرف عليهم عن قرب بصورة تتيح التحقق من وجود مشاكل مادية من عدمه، وبعدها يبدأ التفكير في كيفية المساعدة. «**من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**» [رواه الشيخان].

2 – إنشاء صندوق للتكافل الاجتماعي، يستخدم إيراده عند وقوع الأزمات والمصائب.

3 – تنظيم محاضرات كل فترة تتناول كيفية إدارة المنازل بصورة سليمة تقتصد في المصاريف، وتحث على التعاون بين أفراد الأسرة في توفير النفقات وعدم الضغط المتواصل على رب الأسرة.

4- التحذير من التفريط في الدعوة تحت أثر الضغط الاقتصادي، والتأكيد على أن ممارسة الدعوة نفسها تعتبر أحد الحلول، لما تتيحه للداعية من القرب من الله تعالى، والترفع عن متطلبات الترفيه في الحياة، والانشغال بالقضايا المهمة التي تولد الحماس والرغبة في التضحية من أجل إرضاء الله.

إن الداعية واحد من البشر، يتعرض لما يتعرضون له، ويعاني مما يعانون منه، لكنه لايزال يتميز عن باقي البشر برسالته التي تربطه بربه، وتهون عليه هموم الدنيا، وتجعله يشعر برعاية الله عند تعرضه لضائقة مرت به في رحلة الحياة، ولايزال حلمه برضا الله وجنته يمنحه الصبر، حتى ينال الجائزة بإذن الله.

المناصب الدعوية.. بين الانتخاب والتعيين

أعتقد أن الكفة ستميل إلى جانب الانتخاب إذا كان هناك اختيار بين الانتخاب والتعيين في إسناد المسئوليات الدعوية للأفراد داخل الحركات الإسلامية.

فنظام التعيين يضع مستقبل الدعوة في يد شخص واحد، وهو ضد نظام العمل المؤسسي على طول الخط، كما أنه نظام يعتمد على العواطف والعلاقات الشخصية، ويجنح لأهل الثقة على حساب أصحاب الكفاءة، ويجعل من يعمل أسيرا لمن عينه، ويصبح هناك «ولاء خفي» له على حساب الولاء للدعوة، ناهيك عن أنه نظام ينافي ما تطالب به الحركات الإسلامية الأنظمة الحاكمة بضرورة التداول السلمي للسلطة.

وفي ظل هذا النظام تعلو قيمة الأشخاص على حساب المبادئ، وتلعب النفوس لعبتها المعروفة في العزل والتعيين، وهو نظام يحتضن الأخطاء ليبررها أحيانا ويخفيها عن العيون أحيانا أخرى، ويصبح المنتقد للأفكار متهما بتشويه الرموز والسعي لشق الصف.

إنه نظام به من العيوب والخطايا ما هو كفيل بأن يدفع الحركات الإسلامية دفعا إلى تغييره والسير قدما نحو نظام تولية المسئوليات عن طريق الانتخاب، وذلك إذا أرادت أن تطور من أدائها الدعوي.. لذا يجب أن تقنع نفسها أولا بما تحاول جاهدة أن تقنع به الآخرين.

طريق الديمقراطية:

وإذا عزمت الحركات الإسلامية على ذلك فينبغي أن توقن مع عزمها هذا أن عليها أن تبدأ على الفور بالسير في طريق ليس بالقصير، اسمه «طريق الديمقراطية».

وكما يصرح السياسيون دائما بأن الديمقراطية لا تعني فقط صناديق الاقتراع، بل تعني إطلاق الحريات وتقوية منظمات المجتمع المدني، حتى يتمكن المجتمع باختياره الحر

الواعي من الوصول إلى نقطة تداول السلطات، مما يعني أن الاقتراع لابد أن يسبقه وقت لترسخ فيه ثقافة الحرية والحوار وقبول الآخر والقدرة السليمة على الاختيار، تلك الثقافة التي تستطيع أن تتغلب على العواطف والمصالح والقرابة، ليتجه المجتمع بكل قوته إلى المصلحة العامة.

وهذا يعني أن أمام الحركات الإسلامية – إذا أرادات أن تطبق النظام الديمقراطي أو «نظام الشورى» إذ لم يوافق البعض على اللفظ – طريقا ليس بالقصير داخل صفوفها، قبل أن تبدأ بالضغط على زر الاقتراع، لتخرج لنا آلة الديمقراطية الصورة الوردية الزاهية التي يتمناها الجميع.

وإذا لم تتبع الحركة الإسلامية هذه الإجراءات فستكتشف ساعتها أن خللا ما قد أصاب آلة الديمقراطية؛ لأنها ظلت فترة طويلة دون عمل أو اهتمام بصيانتها من فترة لأخرى، فلم تستطع أن تعمل بالكفاءة المطلوبة، بعد أن صدر القرار بإخراجها من المخازن لاستخدامها.

نعم.. ستكتشف الحركة أن الآلة لم تكن تعمل كما ينبغي، لأنها لم تفكر إلا في إجراء العملية الأخيرة لنظام ديمقراطي أو «نظام شورى»، يهدف إلى إفراز الأصلح والأكفأ.

وستأتي النتائج حتما بصورة غير مرضية، فستوحي للبعض أن التعيين كان أفضل، وهذه هي انتكاسة التجارب الجديدة، عندما تكون الفكرة سليمة وعبقرية، ولكن لا يراعي منفذها الدقة عند تنفيذها، فتخرج النتائج أقل بكثير من المتوقع، ويصدم الجمهور الذي خرج من بيته ليشاهد عرضا ممتعا ليفاجأ بعرض هذيل ومخيب للآمال.

العوائق والحلول:

ولكي تؤتي الانتخابات داخل الحركات الإسلامية ثمارها وتحقق المرجو من إجرائها، فلابد من توفير المناخ الصالح لها، ولابد من تخطي عدد من العقبات داخل صفوف الحركات الإسلامية، ومن هذه العقبات:

1– عدم معرفة الناخبين للمرشحين بالصورة التي تجعل كل من سيقوم بالتصويت يقرر بدقة من سيختار وهو مرتاح الضمير.. إنه يعرفه اسما وشكلا، ويعرف بعض الملامح البسيطة عنه، ولكنه لا يستطيع أن يقرر: هل إمكاناته تمكنه من تولي هذه المسئولية أم لا؟ هل لديه فكر ورؤية يستطيع بهما أن يتغلب على المشكلات الموجودة؟ هل يمكنه تطوير العمل الدعوي؟ ما خبراته وإنجازاته وتاريخه الذي يثبت أنه صالح لتولي هذه

المهمة أو تلك؟

لذا ينبغي ألا تتم الانتخابات دون ترشح، وعلى المرشح أن يقدم نفسه للجميع، ويشرح مؤهلاته الدعوية، وكيف يرى العمل المكلف به، وما هي رؤيته لحل المشكلات التي تواجه العمل، وما هي وعوده المبدئية لتطوير العمل، والتي سيحاسب عنها فيما بعد.. إلخ.

2- ترسخ بعض المفاهيم والأفكار حول الإمارة لدى العاملين في حقل الدعوة منذ نعومة أظافرهم، مثل: طالب الولاية لا يولى، وطالب الإمارة مجروح، وطلب المنصب أمر مشين لا ينبغي مجرد التفكير فيه، وأنه لا ينبغي أن تتحدث عن نفسك وعن أعمالك؛ لأن هذا من قبيل الرياء الذي يهدم العمل ويشوه الصورة.

ومثل هذه المفاهيم تفقد عملية الانتخاب الجدية، وتجعلها أشبه بأداء الواجب الثقيل الذي يريد صاحبه التخلص منه على أي حال، كما أنها تحول بين المسئوليات وبين من يرى نفسه صالحا لها، ففي بعض الحالات التي طلبت بعض الحركات من أفرادها الترشح لبعض المسئوليات لم يستطع أي فرد أن يتقدم باسمه كمرشح، ربما حياء، وربما هربا من منطقة ملغومة وحساسة، وربما خوفا من اتهمات خفية داخل النفوس.

ومن هنا ينبغي العمل لعلاج فكرة أن طالب الإمارة مجروح، علاجًا شرعيًّا وفكريًّا وإيمانيًّا.

3- تدخل الميل القلبي والمكانة والاحترام والسن في معايير الاختيار، فبعض العاملين في حقل الدعوة يتصورون أنهم لا يمكنهم ألا يختاروا فلانا، وغيرهم يتصورون أنه من المستحيل ألا يكون فلان مسئولا، والبعض يرى أن عدم اختيار فلان سيؤثر على حالته النفسية.

ويجب توعية الأفراد بأن الصوت أمانة، وأنه إذا لم يصوت لمن هو مقتنع بأهليته للمسئولية بغض النظر عن العواطف ومكانة بعض الأفراد فإن ذلك لن يكون في مصلحة العمل الدعوي.

4- بعض المسئولين الذين تولوا المسئوليات لفترة طويلة لا يتصورون أنهم من الممكن أن يتحركوا من مكانهم إلى مسئولية أقل، وعدم انتخابهم يسبب لهم صدمة ناتجة من الحرج الشديد الذي يشعرون به وسط العاملين في الحركة، وربما يشعرهم ذلك بالأسى والفشل مما قد يؤدي بهم إلى الانعزال أو العمل بكفاءة أقل.

وينبغي علاج هذه الحساسية التي تحدث لدى بعض الأفراد نتيجة عدم اختيارهم في نفس المسئوليات التي كانوا فيها، وإعدادهم لقبول ذلك بصدر رحب، ودون اعتبار ذلك رفضا لشخصياتهم.

5- غياب المعايير الواضحة لتقييم المسئول المنتخب.. متى ينجح في مهمته؟ ومتى يفشل؟ وكيف يمكن محاسبته؟ ومتى يعزل من مهمته؟

ولذا لابد من تحديد معايير فنية واضحة لمراقبة الأفراد، وعمل استجوابات للمسئولين كل فترة (3 شهور مثلا)، تمكن الأعضاء من مراقبة عمل المسئول وطريقة تفكيره في حل المشكلات، وهل يسير في اتجاه ما وعد به أم أنه متكاسل أو غير قادر على تنفيذ وعوده؟ وكذلك يجب تحديد آلية واضحة للعزل من المنصب في حالة الفشل.

إنها ثقافة الديمقراطية أو «الشورى» التي ينبغي أن يعيها العاملون بالدعوة جيدًا قبل أن نطلب منهم الاختيار الصحيح الذي يعالج سلبيات العمل الدعوي ويطوره ويرفع من شأنه.

ولابد للحركات الإسلامية إذا أرادت الارتقاء بدعوتها أن تتبنى بصدق وجدية آليات حقيقية، آليات تضمن وجود الرجل المناسب في المكان المناسب.

ملف أبناء الدعاة..

ملف لم يجرؤ على فتحه أحد!!

1- حكايتي معهم:

لم يكن ابن الداعية الكبير الذي قابلته في إحدى المدن الساحلية يعرفني لا شكلًا ولا